جامعة الأزهر
حولية كلية البنات الإسلامية بأسيوط

السمعيات عند الشيخ صالح الجعفري من منظور أشعري

إعداد

د / صلاح حسن محمد علي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

ملخص البحث باللغة العربية

السمعيات عند الشيخ صالح الجعفري من منظور أشعري

صلاح حسن محمد علي

العقيدة والفلسفة، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر

(البريد الإلكتروني): Dr.oraby@yahoo.com

ملخص:

إن التصديق باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، ولقد انتهج إمام الجامع الشيخ صالح الجعفري السني الأزهري – رحمه الله – نهج أهل السنة في تضمين مؤلفاتهم وكتبهم عقائد السمعيات المتعلقة بالحياة البرزخية وما بعدها من أمور البعث والقيامة، بعد أن ضمنوها مسائل العقيدة في الإلهيات والنبوات، لا سيما في درس الجمعة الذي كان يلقيه بالجامع الأزهر، أو في ديوانه العامر بالقصائد المتعددة في أمور العقيدة والشريعة والتصوف السني والأخلاق ومدح أهل البيت والصحابة والأولياء – رضي الله عنهم أجمعين – ويفهم من ذلك أن عقيدة السمعيات عند الشيخ لم تقتصر على ما ألقاه من درر في دروسه العلمية بالجامع الأزهر، بل أيضًا نظمها الشيخ– لتمكنه وتبحره في العلوم – في قصائد شعرية ضمن ديوانه المزهر، من هنا دعت الحاجة إلى إبراز هذا الجانب العقدي بتناول أهم قضاياه – ليس كلها– عند عَلَمٍ من أعلام الأزهر الشريف وعلمائه المحبين له ولرجاله، وهو صوفي المشرب، مالكي المذهب، أشعري العقيدة؛ لذلك لم يجنح في عقيدته إلى التأويل الفلسفي، كما فعل غلاة الباطنية في عقائد القيامة واليوم الآخر، وها هو تراثه العقدي السني بكل أقسامه ظاهر للعيان ولا توجد فيه صفحة مطوية وأخرى مكشوفة، وقد جاء البحث تحت مسمى" السمعيات عند الشيخ صالح الجعفري من منظور أشعري" وقد انقسم البحث إلى أحد عشر مبحثًا يسبقهم مقدمة وتمهيد ويعقبهم خاتمة وفهارس .

الكلمات المفتاحية : السمعيات، صالح، الجعفري، أشعري.

Sheikh Saleḥ Al-Jaʿfarī's Eschatological Matters of Faith from an Ashʿarī Perspective

Dr. Salah Hassan Mohammad Ali, Department of Creed and Philosophy, Islamic Faculty of Women, Assuit, Al-Azhar University
Dr.oraby@yahoo.com

Abstract

Believing in the Last Day is one of the pillars of faith. Sheikh Saleḥ Al-Jaʿfarī, the Azharite and Sunni Imam, has followed the approach of the Sunni scholars whose writings include the eschatological matters of faith related to the human period between death and resurrection (called *Barzakh*), and matters of resurrection and the Day of Judgment. Such eschatological matters have also been dealt with in issues of theology and prophethood. Imam Al-Jaʿfarī has included these eschatological matters in his Friday sermons at Al-Azhar Mosque, and in his collection of poetry, which deals with Islamic creed and Shariʿah, Sufi Sunni approach, ethics, praise of the Prophet's household, the Prophet's companions, and the pious Muslims, may Allah be pleased with them all. Thus, we see that the eschatological matters of faith are mentioned not only in the Imam's lectures at Al-Azhar mosque, but also in his poetry, since he is well-versed in many sciences. The present study points out this aspect of Islamic creed through tackling most of the creed issues as seen by one of the notable scholars of Al-Azhar, Imam Al-Jaʿfarī. He is Sufi in approach, Mālikī in jurisprudence, and Ashʿarī in creed; therefore, he does not adopt philosophical interpretation as did the followers of the Baṭtiniyyah [Gnostic] school of thought in matters related to the Last Day and the Day of Judgment. The research paper tackles the legacy of his Sunni approach to creed. The paper is divided into an introduction, eleven sections, and a conclusion.

***Key words*: belief in the unseen – Saleḥ Al-Jaʿfarī — Ashʿarī**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله – تبارك وتعالى – على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

وبعد :

فإن التصديق باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، ولقد جعل الله – تعالى – الإيمان بالغيب صفة للمتقين ، ويظهر ذلك من قوله – تعالى – في مستهل سورة البقرة " الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"(1)

من هنا وجب على كل مسلم أن يؤمن إيمانًا جازمًا بجميع الأمور الغيبية ، وأن يصدق بكل ما جاء به رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من أمور الغيب ، وهو ما يسمى عند علماء العقيدة بالسمعيات ، ويقصدون بها الأمور الغيبية التي عرفناها سماعًا من الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى – صلى الله عليه وآله وسلم – فكتب العلماء عقائدها ، وجعلوا لمسائلها أبوابًا وفصولاً شأن مسائل العقيدة في الإلهيات والنبوات .

ولقد انتهج إمام الجامع الأزهر الشيخ صالح الجعفري السني الأزهري – رحمه الله – نهج أهل السنة في تضمين مؤلفاتهم وكتبهم عقائد السمعيات

---

(1) سورة البقرة الآية : ١ – ٣ .

المتعلقة بالحياة البرزخية وما بعدها من أمور البعث والقيامة ، بعد أن ضمنوها مسائل العقيدة في الإلهيات والنبوات ، لا سيما في درس الجمعة الذي كان يلقيه بالجامع الأزهر ، أو في ديوانه العامر بالقصائد المتعددة في أمور العقيدة والشريعة والتصوف السني والأخلاق ومدح أهل البيت والصحابة والأولياء – رضي الله عنهم أجمعين .

ويفهم من ذلك أن عقيدة السمعيات عند الشيخ لم تقتصر على ما ألقاه من درر في دروسه العلمية بالجامع الأزهر ، بل أيضًا نظمها الشيخ – لتمكنه وتبحره في العلوم – في قصائد شعرية ضمن ديوانه المزهر ، ويتأكد ذلك بما جاء في درس الجمعة عن الإيمان بالقيامة وهو كثير ، منه قوله :" ونحن نؤمن بأن القيامة آتية ، فهل الدنيا ستستمر هكذا ؟ أين إذن قوله – تعالى –"وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ"([1]) "إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ"([2]) "وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً"([3]) أين ذلك ؟ إنه آت ، فَصدِّق ، وآمن ، واجعل قلبك يؤمن بأن القيامة آتية "([4]) .

كما يتأكد ذلك أيضًا بما جاء في ديوانه وقصائده عن الإيمان بالقيامة وما بعد الموت وهو كثير جدًا يجمعه ما جاء في قصيدة مطلعها :

يَا عَظيمَ اللُّطْفِ يَا مَنْ لُطْفُهُ   يَسْبِقُ الْبَرْقَ إِذَا مَا لَطَفَا
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا حَصَلا   يَا إِلهًا بِنَعِيمٍ أَتْحَفَا

([1]) سورة التكوير الآية : ٦ .
([2]) سورة الانشقاق الآية : ١ .
([3]) سورة الفرقان الآية : ٢٥ .
([4]) درس الجمعة ج ٢ ص ١٩٨ .

وَلَكَ الحَمدُ لَدَى موتِي إذا حَضَرَ الأَمْلاكُ في يَومِ الوَفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إذَا مَا دَفَنوا ذَاتَ جِسْمِي بِتُرَابٍ فَاخْتَفَى
وَلَكَ الحَمْدُ عَلىَ أُنسٍ بِهِ فِي جِنَانِ الخُلدِ أَلْقَى الغُرَفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا زَارَنِي زَائِرٌ يَومًا بِقَبْـرٍ وَقَفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا مَا رَجَعَتْ هَذِه الرُّوحُ بِيَومٍ أَزِفَـا
وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا مَا وُزِنَتْ هَذِهِ الأَعْمَالُ وزنًا أَنْصَفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا مَا نُشِرَتْ صُحُفُ الأَعْمَالِ كُلٌ عَرَفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا مَا سَاقَنِي سَائِقٌ نَحْوَ صِرَاطٍ وُصِفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا مَا نَادَىَ لِي مَلَكُ الخُلْدِ إِلىَ أَهْلِ الصَفَا([1])

وهذه كلها أمور مؤكدة عند أهل السنة ، ففي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني – رضي الله عنه – : "ويجب أن يعلم أن كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، وردّ الروح إلى الميت عند السؤال ، ونصب الصراط ، والميزان ، والحوض ، والشفاعة للعصاة من المؤمنين ، كل ذلك حق وصدق ، ويجب الإيمان والقطع به ؛ لأن ذلك غير مستحيل في العقل "([2]) .

من هنا دعت الحاجة إلى إبراز هذا الجانب العقدي بتناول أهم قضاياه – ليس كلها – عند عَلَمٍ من أعلام الأزهر الشريف وعلمائه المحبين له ولرجاله ، وهو صوفي المشرب ، مالكي المذهب ، أشعري العقيدة ؛ لذلك

([1]) ديوان الإمام الجعفري ج١٠ ص ١٨٧ – ١٨٩ .

([2]) الإنصاف فيما يجب العلم به ولا يجوز الجهل به ص ٤٨ للباقلاني تحقيق محمد زاهد الكوثري .

لم يجنح في عقيدته إلى التأويل الفلسفي ، كما فعل غلاة الباطنية في عقائد القيامة واليوم الآخر ، وها هو تراثه العقدي السني بكل أقسامه ظاهر للعيان ولا توجد فيه صفحة مطوية وأخرى مكشوفة .

وقد جاء البحث تحت مسمى " السمعيات عند الشيخ صالح الجعفري من منظور أشعري " ، وقد حدا بي لاختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية :

١- إظهار جانب عقدي عند شيخ أزهري محب للأزهر الشريف ورجاله .

٢- إظهار وسطية العقيدة الأشعرية وبعدها عن الإفراط والتفريط

٣-. إثبات أن الصوفية المعتدلين المقتصدين بعيدون كل البعد عن التأويل الباطني الذي يخرج أمور الآخرة عن حقائقها .

وقد انقسم البحث إلى أحد عشر مبحثًا يسبقهم مقدمة وتمهيد ويعقبهم خاتمة وفهارس على النحو التالي :

اشتملت المقدمة على خطة البحث وأسباب اختياره ، وأما التمهيد فكان للتعريف بالشيخ صالح الجعفري ، وأما المباحث فكانت على النحو التالي :

المبحث الأول : الحياة البرزخية عند الشيخ صالح الجعفري .

المبحث الثاني : البعث والقيامة في عقيدة الشيخ الجعفري .

المبحث الثالث : الحشر في عقيدة الجعفري .

المبحث الرابع : الشفاعة العظمى في عقيدة الجعفري .

المبحث الخامس : أخذ الصحائف يوم القيامة في عقيدة الشيخ الجعفري .

المبحث السادس : الحساب على الأعمال في عقيدة الجعفري .

المبحث السابع : الحوض في عقيدة الجعفري .

المبحث الثامن : الوزن والميزان في عقيدة الجعفري .

المبحث التاسع : الإيمان بالصراط عند الإمام الجعفري .

المبحث العاشر : الجنة والنار في عقيدة الجعفري (حقيقتهما ووجودهما الآن)

المبحث الحادي عشر : رؤية الله – عز وجل – وأحكامها في عقيدة الجعفري.

أما الخاتمة : فقد ضمنتها أهم ما توصل إليها البحث من نتائج ، مع الإشارة لبعض العقائد الغيبية والعقدية التي أثبتها الشيخ ولم يتسع المقام لذكرها .

الله ، أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجزي عنا مشايخنا أحسن الجزاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم إلى يوم الدين .

تمهيد
في التعريف بالشيخ صالح الجعفري

نسب الشيخ ومولده :

لقد أكرم الله – تعالى – الشيخ الجعفري بشرف الانتساب إلى سيدنا ومولانا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وهي – لا شك – نعمة تستوجب شكر المنعم – سبحانه وتعالى – لمن عرف قدرها وقرنها بالعمل الصالح .

وهو: الشيخ صالح بن محمد بن صالح بن محمد بن رفاعي ، الممتد نسبهم الشريف إلى الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر ، بن الإمام علي زين العابدين ، بن سيدنا وسيد شباب أهل الجنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، بن سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب ، زوج سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنهم – أجمعين ، بنت أفضل خلق الله أجمعين سيدنا وسيد ولد آدم محمد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم(1) .

ولقد ولد الشيخ صالح الجعفري ببلدة دنقلا من السودان الشقيق ، في الخامس عشر من جمادى الآخرة عام ١٣٢٨ هـ ، وبها حفظ القرآن الكريم وأتقنه في مسجدها العتيق ، ثم وفد إلى مصر – المحروسة بقدرة ربها

---

(1) راجع الكنز الثري في مناقب الإمام الجعفري ص ١٣ والإلهام النافع لكل قاصد على رسالة القواعد ص ١٠ .

– ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف([1])

طلب الشيخ للعلم :

لقد طلب الشيخ الجعفري العلم منذ صباه ، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، وفي ذلك يقول: " كنت منذ طفولتي مشغوفًا بالعلم وحفظ القرآن الكريم ، وكنت ملازمًا للمصحف الشريف"([2]) .

وبعد أن حصَّل الشيخ بهمته العالية الشغوفة بالعلم وطلبه ما شاءه الله – تعالى – له ، ذهب إلى الأزهر الشريف بمصر ، وعمره قد اقترب من العشرين ، وقد كان سفره إلى الأزهر بإشارة من أحد شيوخه وفي ذلك يقول الشيخ :

وقبل مجيئ إلى الأزهر جاء أحد أهل البلد بأول جزء من شرح النووي على صحيح مسلم ، فاستعرته منه وصرت أذاكر فيه ، فرأيت سيدي عبد العالي الإدريسي جالسًا على كرسي ، وبجواره زاد للسفر ، وسمعت من يقول : إن السيد يريد السفر إلى مصر إلى الأزهر ، فجئت وسلمت عليه وقبلت يده ، فقال لي مع حدة : " العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب " وكررها ، فاستيقظت من منامي وقد ألهمني ربي السفر إلى الأزهر ، وحضرت الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي المحدِّث ، وهو يُدرِّس شرح النووي على صحيح مسلم ، فجلست عنده وسمعته يقرأ حديث "لا هجرة بعد الفتح ولكن

([1]) الطريقة الجعفرية شيخًا ومنهجًا ص ٣ ، ولمعرفة المزيد عن أسرة الشيخ راجع الكنز الثري ص ١٥ وما بعدها .

([2]) الكنز الثري ص ٢٢ .

جهاد ونية ، وإن استنفرتم فانفروا"[1]

شيوخه :

تلقى شيخنا العلم بالأزهر الشريف على يد نخبة من خيرة العلماء العاملين في مختلف العلوم والفنون ، منهم : الشيخ عليش وهومن أوائل العلماء الذين لقيهم الشيخ بعد قدومه من السودان ، والشيخ السمالوطي وكان يجلس إليه الشيخ وهو يدرس الحديث وعلومه وعلم التوحيد ، والعلامة المفسر الشيخ يوسف الدجوي ، وقد لازم الشيخ درسه بالجامع الأزهر بالرواق العباسي سبع سنين ، وقد أخذ الشيخ عنه علوم التفسير والحديث مع تعرضه فيهما لتبيين الألفاظ اللغوية والإعراب الدقيق والأحكام الفقهية ومسائل التصوف ، والشيخ حبيب الله الشنقيطي ، صاحب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ، وقد لازمه الشيخ خمس عشرة سنة ، والشيخ علي الشائب ، وقد حضر عليه الشيخ منظومة اللقاني في علم التوحيد ، وقد قال الشيخ عنه:" فقد كان هذا الكلام في سياق الحديث عن حفظ الشيخ لها غيبًا متنًا وشرحًا ، وكان من العلماء الصالحين " والشيخ محمد بخيت المطيعي ،ودرس عليه الشيخ علم التفسير ، والشيخ حسن مدكور في الفقه المالكي ، والشيخ محمود خطاب السبكي ، والشيخ الشبراوي ، والشيخ محمد حسنين مخلوف المالكي العدوي ، والشيخ صادق حسوب العدوي ، والشيخ

---

[1] فتح وفيض وفضل من الله تعالى في شرح كلمة لا إله إلا الله للشيخ صالح الجعفري ص ١٨ .

علي أبي عوف السنهوري ، والشيخ السيد حسن أفندي وغيرهم([1]) – رضي الله عنهم .

وحصل الشيخ على الشهادة العالية والعالمية مع إجازة التخصص في التدريس من كلية الشريعة الإسلامية ، وعُيِّن بعد ذلك إمامًا ومدرسًا بالجامع الأزهر ، فاتخذ من رواق المغاربة مقرًا له حيث تفرغ للعلم والدعوة إلى الله – تعالى – ، وكانت له فيه خلوة مباركة ، وكان لا يفارقه إلا للحج إلى بيت الله الحرام وزيارة النبي – عليه أفضل الصلاة والسلام – وزيارة أهل البيت – رضي الله عنهم – في روضاتهم ، واشتهر الشيخ صالح بدرس الجمعة بالأزهر الشريف ، حيث كان الناس يحرصون على حضور درسه ، ويتبركون بذلك لما فيه من الأنوار والأسرار ، والعلوم والمعارف الدينية والعربية"([2]) .

مؤلفات الشيخ :

إن لله – تعالى– عبادًا زهدوا في خوارق العادات بمعناها المألوف ، وآثروا إخفاء أحوالهم وأسرارهم ، وكانت كرامتهم العظمى – الظاهرة – هي الاشتغال بالعلم لهداية خلق الله ونفعهم ، ولا شك أن الشيخ صالح الجعفري إمام الجامع الأزهر واحد من هؤلاء ، حيث إنه – رحمه الله – أحب العلم حبًا مَلَكَ عليه شغاف قلبه ، حتى جعل حياته كلها للعلم والتدريس والمديح والإرشاد والتربية والدعوة إلى الله – تعالى – على بصيرة ، فلم يشغله عن

([1]) لمعرفة المزيد عن شيوخ الإمام الجعفري وأحواله معهم راجع الكنز الثري ص ٢٣ وما بعدها والإلهام النافع لكل قاصد ص ١٤ والطريقة الجعفرية شيخًا ومنهجا ص ٥ .

([2]) الإلهام النافع لكل قاصد ص ١٤ .

العلم شاغل ، ولم يصرفه عنه صارف .

ولا أدلّ على ذلك من مكث الشيخ بالأزهر الشريف ما يقرب من خمسين عامًا – ففتح الله – تعالى – له من أبواب فتوحه ما شاء أن يفتح ، وأصبح بحرًا خضمًا يفيض باليواقيت والجواهر ، قادرًا – لتبحره في العلم – على اختصار معانيه في منظومات وأراجيز شعرية ، بأسلوب سهل بارع ، يدعو إلى تثبيت المعنى واستقراره في أعماق الأنفس حين سماعه ، محققًا ومجسدًا ما أراده شيوخه على وجه منقطع النظير ، ويظهر ذلك من قوله :

قَالَهَا ابْنُ ادْرِيسَ فِي أَصْحَابِه   خَرْق عَادَاتٍ هُوَ الْعِلمُ الأَجَلّ

وإن العلم الأجل للشيخ الجعفري قد ظهر من جوانبه المباركة في صور متعددة ، تمثل نسيجًا واحدًا متكاملاً مع تعدد مناحي الفكر وتنوع المواهب ، فقد جمع بين عمق الأفكار ، واستفاضة المعارف ، وسهولة العبارات ، وكان لكل لون من ألوان العلم في نفسه مستقَر ، ويظهر ذلك جليًا لمن طالع تراثه بجميع ما يحويه ، لا سيما المنظومات التي نظمها في شتى العلوم ؛ فهي تعبر ولا شك عن المنهج السني للشيخ في العقيدة والشريعة والسلوك والتربية ، كما تعبر عن بصيرته المشرقة بعلمه الواسع الغزير وفهمه الثاقب ؛ لأن نظم العلم في أبيات شعرية لا يقوى عليه إلا من تبحر في العلوم ، وتمكن من فهمها وإدراك معانيها .

وإذا كان الشيخ صالح الجعفري قد نَهِجَ نَهْج السابقين من العلماء في نظم مسائل العقيدة في قالب شعري ، كالإمام الدردير ، والشيخ عبد الواحد بن عاشر ، والإمام اللقاني وغيرهم – رضي الله عنهم – فإننا إذا نظرنا في المنظومات الشعرية لهم ولغيرهم من العلماء فإننا – غالبًا –

نجدها في فن أو اثنين .

أما الشيخ الجعفري فقد تميز بما أكرمه الله – تعالى – به من نظم العلوم المتنوعة والفنون الكثيرة في منظومات وأراجيز، جاعلاً لكل نظم منها اسمًا يخصه – ومن أرادها بعمومها فليرجع إلى ديوان الشيخ في الجزء الثاني عشر من الطبعة الأولى ، وقد شملت هذه المنظومات علوم العقيدة وأصول الدين ، والتصوف والتربية ، والدعوة والوعظ ، والتفسير والحديث ، والسيرة والشمائل النبوية ، والشريعة – لا سيما فقه العبادات – بجميع أبوابه ، وعلم الفرائض بجميع أحكامه، واللغة العربية لا سيما علمي النحو والتصريف .

إلى جانب ما نظمه الشيخ في مناجاة الله – تعالى – والاستغاثة به، مع ما تم نظمه في مناقب العلماء والأولياء الذين خصهم الشيخ بمنظومات ، ويجمع كل ذلك ديوان الشيخ بما اشتمل عليه من القصائد الجامعة للعلم ، والدين، والدعوة ، والمديح في أجلى صورة وأجمل أسلوب.

ومن بين المنظومات الكثيرة للشيخ ما نظمه في العقيدة وعلم التوحيد – الذي هو أشرف العلوم – فيما ينبغي على كل مكلف معرفته حتى يصح إيمانه ويخرج من التقليد ، ما أسماه : " مفيدة العوام " ، وهذه المنظومة قد جعل الله لها من اسمها الحظ الأكبر ، والنصيب الأوفر ، وعدد أبياتها تسعة وخمسون بيتًا .؛ إذ يقول بعد أن ذكر قول العلماء في أن التوحيد واجب عيني على كل مسلم ومسلمة ، وأن الإنسان يكون عاصيًا بتركه:" وقد وفقني الله – تعالى – إلى منظومة صغيرة جامعة لمسائل التوحيد ، فعلى كل مريد أن يجتهد في حفظها ، حتى يوفقني الله – تعالى – إلى شرح لها يبين

مجملها باختصار إن شاء الله تعالى – "([1])

لقد أفاض بحر علم الشيخ بالدر النضيد في مختلف العلوم الشرعية والعربية فكتب الكتب وحقق الكثير منها ، ونظم القصائد والدواوين ، وكان مما ألف – رحمه الله – : ديوان الجعفري وقد صدر منه اثنا عشر جزءًا ، فتح وفيض وفضل من الله تعالى في شرح كلمة لا إله إلا الله ، المعاني الرقيقة على الدرر الدقيقة ، أسرار الصيام ، الإلهام النافع لكل قاصد على رسالة القواعد ، الذخيرة المعجلة للأرواح المعطلة ،رسالة في الحج والعمرة ، مفتاح كنوز السموات والأرض ، كنز السعادة والدعوات المستجابة ، وهناك الكثير من الكتب المؤلفة للشيخ ([2]) .

ومن الكتب التي قام الشيخ – رحمه الله – بتحقيقها من تراث شيخه السيد أحمد بن إدريس: لوامع البروق النورانية ، كيمياء اليقين ، شهد مشاهد الأرواح التقية ، نصر الله بالإلهامات العلمية ، شرح الصدور بإذن اللطيف الخبير وغير ذلك([3]) .

عقيدة الشيخ صالح الجعفري :

إن من طالع تراث الشيخ الجعفري في الإلهيات والنبوات والسمعيات والأسماء والأحكام ،عرف أنه أشعري العقيدة شأنه شأن شيوخه الأزهريين الذين أحبهم ولازم مجالسهم ، وقد عبر الشيخ عن هذه العقيدة بقوله في

([1]) فتح وفيض وفضل من الله في شرح كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ص ٦٩ ، نشر دار جوامع الكلم بالدراسة .

([2]) راجع الإلهام النافع ص ١٦ – ١٧ .

([3]) الإلهام النافع ص ١٨ .

ديوانه :

ومالك إمامنا في المذهب   وعقدنا كالأشعري الطيب([1])

بل إن عقيدته الأشعرية تظهر بوضوح في حبه للصحابة – رضي الله عنهم – أجمعين ، وتعظيمهم وتوقيرهم ومعرفة فضلهم ، لا سيما الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما ، وهو الشيخ الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي – رضي الله عنهما – وقد مدحهما – أعني الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما – في ديوانه بأبيات لا حصر لها ؛ لأنه يعرف قدرهما عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويعرف العلاقة حقًا بين أهل البيت والصحابة – رضي الله عنهم – ومن هذه الأبيات الكثيرة قوله – رحمه الله :

يا رب فارض عن الصديق سيدنا   حِبِ النبي له العلياء في همم

في الغار كان مع المختار صاحبه   له التقدم في الإسلام والكرم

أثنى عليه إله العرش خالقنا   خير الثناء فيا بشراه بالنعم

واجعل رضاك على الفاروق سيدنا   أبي الفتوحات ذي بطش بذي صنم

يفر إبليس إن لاقاه في طرق   والجور والظلم من مرآه في عدم

وحبه لرسول الله يعلنه   لدى النبي على نفس على رحم([2])

وقوله :

ثم الرضا ما دامت الدنيا على   خير الصحابة سابق بأيادي

([1]) ديوان الجعفري ج١٢ ص ٥٩ .

([2]) ديوان الجعفري ج ٥ ص ٨٥ .

أعني أبا بكر الذي نال الرضا بالسبق والإنفاق والإرشاد
وكذاك فاروق الذي نال الرضا ذو هيبة تعلو على الآساد([1])

وقوله :

عم بالرضوان ربي خير صديق وصحب
وكذا الفاروق حِبي سكنا قرب محمد([2])

إلى جانب أن ترتيب الصحابة عنده في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وقد عبر عن ذلك في أبيات كثيرة من نظمه ، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله :

ورضوان من المولى تعالى يعم صحابة متراحمينا
إله العرش بشرهم بخلد فكانوا في جنان خالدينا
وأفضلهم هو الصديق حقًا يصدق أحمدًا صدقًا مبينًا
وفاروق له عزم وحزم يفرق بين جيش المبطلينا([3])

وقوله :

واجعل رضاك مضاعفًا ومنورًا نحو الصحابة سادة العلماء
صديق والفاروق عثمان علي خلفوا النبي خلافة بوفاء([4])

وقوله :

وصدقه الصديق ينطق قائلاً صدقت رسول الله قولك أعذب

([1]) ديوان الجعفري ج ٢ ص ٢٠٥ .
([2]) ديوان الجعفري ج ٢ ص ٢١٢ .
([3]) ديوان الجعفري ج ٦ ص ٩٩١ .
([4]) ديوان الجعفري ج ١ ص ١١ .

وصدقه الفاروق عثمان بعده   علي وأقوام كرام وتصحب([1])

إلى غير ذلك من الأبيات الكثيرة التي تبين أن الشيخ الجعفري على عقيدة أهل السنة الأشاعرة ، بعيد كل البعد عن عقائد الشيعة والمتطرفين .

ولعل مما ينبغي أن نلفت الأنظار إليه أن الشيخ صالح الجعفري كان صوفيًا صاحب مدرسة روحية ، إلا أنه كان صوفيًا سنيًا أسس مدرسته على اتباع الكتاب والسنة ، واتباع الأمر والنهي ، وتعلم العلم والعمل به ، وأقواله في ذلك كثيرة منها :

طريقي هو القرآن والعلم والتقى   ومدح رسول الله ماحي الضلالة[2]

وقوله :

ما عندنا إلا الكتاب   كتاب ربي للعمل

والسنة الغراء لا   نبغي التغير والدجل

نهج النبي طريقنا   وبسيره سار الأول[3]

وقوله :

وكن عارفًا للأمر والنهي لا تكن   كمن عطلوا للشرع أهل الغباوة

فما الأمر إلا من كلام إلهنا   فلا تتركن أمرًا لأوهام فترة

رضاه لمن قد قام بالأمر يا فتى   ويغضب مولانا لفعل الإساءة

سبيلان في الدنيا لدارين وصلا   فعالك للحسنى وفعل القبيحة

فإن سرت في الحسنى وصلت إلى الهنا   وإن سرت في الأخرى فدار العقوبة([1])

([1]) ديوان الجعفري ج ١ ص ٣٢ .

([2]) ديوان الجعفري ج ص .

([3]) ديوان الجعفري ج ص .

وقوله في إحدى كتبه :" علامة صاحب الحب الإلهي أنه كلما زادت محبته لله – تعالى – ظهرت عليه موافقة الكتاب والسنة والمبادرة إلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج ، وفعل الخيرات وترك المنكرات ؛ لأن المعصية والحب ضدان لا يجتمعان ، ومن ادعى اجتماعهما فقد كذب ، إذ رفيق المحبة الطاعة ، ورفيق البغض المعصية " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " وقد قلت في تائيتي علامة حب الله طاعة أمره وفي البغض عصيان لأهل الشقاوة

ومن يدعي حب الإله ويعصه   فذلك كذاب رفيق الجهالة[٢]

وهكذا ينبغي أن يكون المعلم والمربي من الالتزام والاتباع للكتاب والسنة وإلا ضيع نفسه ومن حوله كما يفعل أهل الجهل ممن يزعمون أنهم مربون ومعلمون .

حب الشيخ الأزهر الشريف وعلماءه :

لقد أحب الشيخ الجعفري الأزهر الشريف وعلماءه حبًا صادقًا ، به حفظ ودهم ، وأبقى على مدحهم والثناء عليهم في دروسه وديوانه ، بل ومؤلفاته ومن جملة ذلك قوله : " وحينما جئت وانتسبت إلى الأزهر وجدت عند كل عمود شيخًا يدرس العلم، وكانت دموعنا تسيل من دروس العلماء ومن لمعان وجوههم ، لهم طريقة في التدريس والكلام تقشعر لها القلوب ، وكان لعلماء الأزهر نطق حسن ، ونبرات مخصوصة في إلقاء العلم

([١]) ديوان الجعفري ج ١ ص ٩٥ .

([٢]) الكنز الثري ص ٨ .

والدرس"([1]) .

وعند شرحه لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :"رحم الله خلفائي قالوا ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يأتون من بعدي يبلغون الناس سنتي "([2]).

يقول الشيخ الجعفري : علماء الأزهر هم ورثة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وأكرم بها من منقبة ، لا تعادلها منقبة في الدنيا ، ورثة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – الذين قاموا بالتبليغ للناس نيابة عنه – صلى عليه وآله وسلم ، قال البوصيري – رضي الله عنه – :

لم نخف بعدك الضلال وفينا   وارثوا نور هديك العلماء

وبعد أن ذكر الشيخ فقهاء المذاهب الأربعة واستنباطهم للأحكام ، وحفاظ القرآن والحديث ورجال العلم والمجاهدين ، وأنهم معجزة تدل على صدق رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم قال : وجعل الله – تعالى – في أمتك الأزهر ولا يوجد في بلدة من بلاد الإسلام مثله ، فالأزهر الشريف كالسحاب يجتمع فيه الماء العذب ، ثم يذهب لينزل الغيث الذي يصلح البلاد والعباد ، فإذا ذهبت إلى مكة وجدتهم على المنابر ، وإذا ذهبت إلى عمان وجدتهم على المنابر ، وإذا ذهبت إلى سوريا وجدتهم على المنابر، وإذا ذهبت إلى المغرب وجدتهم على المنابر ، فأينما ذهبت وجدت الأزهر أمامك

([1]) الكنز الثري ص ٣٩ .

([2])أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج١ ص ١٢٦ برقم ٥٢٣ بلفظ "اللهم ارحم خلفائي"نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .ورواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن عيسى بن عبد الله الهاشمي ، قال عنه الدار قطني : كذاب .

العلم الشريف([1]) .

ثم يتحدث الشيخ عن مصر الأزهر فيقول : " العجم – أي غير الغرب من المسلمين – كلهم يحبون مصر من أجل الأزهر الشريف ، فالأزهر – هذا الحصن الحصين – جعل لمصر في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها محبة عظيمة ، ومنزلة عظيمة "([2]).

وهناك الكثير والكثير من أقوال الشيخ الجعفري – رحمه الله – التي تظهر حبه للأزهر الشريف وعلمائه([3]) وتجعله جديرًا بهذا الحب والوفاء أن تكتب في علمه وحياته البحوث والرسائل العلمية .

وفاته :

بعد حياة حافلة بالعطاء والنفع والهداية لعباد الله – تعالى – انتقل الشيخ إلى جوار خالقه مساء الاثنين ، في الثامن عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٣٩٩ هـ ، ودفن بحديقة الخالدين بالدراسة في القاهرة بجوار مسجده الذي أنشأه قبيل وفاته ، تاركًا كنوزًا ثمينة في العلم والمديح والدعوة والتربية والسلوك والإرشاد ، فرحم الله الشيخ الجعفري ، ورضي عنه ، وأسكنه جنة الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ، آمين .

وبعد هذا التمهيد للتعريف بالشيخ نشرع بعون الله وحوله في إبراز عقيدة السمعيات عنده ، وهو ما سيظهر بمشيئة الله – تعالى – من المباحث التالية :

([1]) درس الجمعة ج٨ ص ٩٥ – ٩٦ .

([2]) المرجع السابق ج ٣ ص ٩٣ .

([3]) راجع مثلاً درس الجمعة ج ٢ ص ١١٢ وص ١٦١ – ١٦٢ وج ٥ ص ١١٧ – ١١٨ .

المبحث الأول :

الحياة البرزخية في عقيدة الشيخ

أولاً : سؤال القبر .

قبل الحديث عن سؤال القبر عند الشيخ الجعفري تجدر الإشارة إلى المقصود بالبرزخ ، ويقصد بالبرزخ – كما يرى أهل اللغة – الحاجز والفاصل بين الشيئين ، فهو يشمل فترة ما بعد الموت إلى القيامة ، يقول العلامة ابن منظور :" البَرْزَخُ: مَا بَيْنَ كُلِّ شَيْئَيْنِ، وَفِي الصِّحَاحِ: الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ. والبَرْزَخُ: مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَبْلَ الْحَشْرِ مِنْ وَقْتِ الْمَوْتِ إِلى الْبَعْثِ، فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ البَرْزَخَ "([1]) .

ولقد أثبت الشيخ الحياة البرزخية بكل ما فيها على حقيقته وفق ما هو مقرر عند أهل السنة ، في سؤال القبر ، وملائكة السؤال ، وعذاب القبر ، ونعيمه ، بل حتى في انتفاع الأموات من سعي الأحياء ، ووصول الثواب إليهم في برازخهم ، ويظهر ذلك من قوله عن القبر وما فيه : " المؤمن إذا رأى الملك في قبره فرح واطمئن ، مثل الطالب الذي يدخل الامتحان وهو مطمئن إلى مذاكرته وتحصيله ، فإذا سئل من ربك ؟ قال : ربي الله ، وإذا سئل من نبيك ؟ قال : محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، وهذا هو التثبيت المشار إليه في قوله تعالى :"يُثَبِّتُ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ"([2]) ، وقد ذكر بعض شراح البخاري أن

([1]) لسان العرب ج ٣ ص ٨ ، نشر دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ .

([2]) سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .

النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يظهر للمسئول عند قول الملك : ما تقول في هذا الرجل ؟ ، فالقبر أول منازل الآخرة ، وأول باب يفرق عنده بين المؤمن وبين الكافر ، وعالم البرزخ غير عالم الدنيا .

قال الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – :" القبر أول منازل الآخرة"([1]) . والقبر الذي يريده – صلى الله عليه وآله وسلم – ليس القبر الذي تراه عيوننا ، بل هو من عالم الغيب في الآخرة ، ونحن لا نرى الآخرة ، فلو دخلنا القبر لحظة سؤال منكر ونكير فلن نرى شيئًا ، ولن نسمع كلامًا ؛ لأن كل ذلك من عالم الغيب "([2]) .

ويقول أيضًا :"الإنسان عندما يدخل قبره ربنا – سبحانه وتعالى – يسأله عن الدين ، عن الإسلام ، عن النبي – عليه الصلاة والسلام – يسألونه وحده ، ولا يحضر أحد معه ، عن الله وحده ! وعن كتاب الله – تعالى – وحده ! وعن نبي الله –صلى الله عليه وآله وسلم – وحده "([3]) .

كما يقول : "الإنسان أول ما يدخل في قبره يأتي إليه الملك لكي يحاسبه ، فإن خلص منه ، أصبح في روضة من رياض الجنة "([4]) .

كما نظم الشيخ البرزخ وما فيه في قالب شعري واضح سهل يبرز العقيدة من بابها القريب فقال في ديوانه :

([1]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ ص ٥٠٣ تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط /مؤسسة الرسالة ، طبعة أولى ١٤٢١هـ .

([2]) درس الجمعة ج ٢ ص ١١٥ – ١١٦ .

([3]) المصدر السابق ج٧ ص ٤٣ .

([4]) السابق نفسه ص ١٨ .

لُطْفٍ خَفِيٍّ يَا لَطِيفُ تَوَلَّنِي　　إِذَا جَاءَ يَوْمُ المَوْتِ أَوْ ضَمَّنِي القَبْرُ
إِذَا مُنْكَرٌ قَدْ قَالَ يَا عَبْدُ مَا الَّذِي　　تَدِينُ بِهِ مَا الرَّبُّ مَا النَّهْيُ مَا الأَمْرُ
وَأَيُّ نَبِيٍّ كُنْتَ تَتْبَعُ شَرْعَهُ　　وَكَيْفَ صَلاَةُ الفَرْضِ عِنْدَكَ وَالذِكْرُ([1])

ويقول في مخاطبة النفس ووعظها :

يا نفس توبي قبل أن تصيري　　إلى سؤال منكر نكير([2]) .

فيفهم مما سبق أن الشيخ الجعفري أخذ من قوله تعالى : "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ" دليلاً على ثبوت سؤال القبر ، وأنه يرى أن ملائكة السؤال هما : "منكر ونكير" ، وأنه بسؤالهما يتميز المؤمن من الكافر أو المنافق ، لذلك يقال لهما : فتاني القبر ، وأن الميت يسئل عن ربه ونبيه ، يعني الشهادتين ، وسائر الاعتقادات ، وأن الحياة في القبر ليست كالحياة المعهودة في الدنيا ، وأنها من عالم الغيب ، فلا يمكن لأحد أن يسمع أو يرى كل ما يدور في القبر لأصحابه ، فكل ذلك من جملة الغيب الذي غيَّبه الله – تعالى – عن الثقلين .

وأن كل ذلك لا يخرج عما هو ثابت على أصول أهل السنة والجماعة مما استمد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ولكن ربما يتبادر إلى الذهن سؤال عن الحكمة من السؤال في القبر قبل يوم القيامة ، فيقال : ما الحكمة من سؤال القبر والشأن أن الله – تعالى – لا تخفى عليه من العباد خافية ؟ .

([1]) ديوان الجعفري ج ١٠ ص ٦٨ .
([2]) ديوان الجعفري ج ١ ص ١٠٧ .

الحكمة من سؤال القبر :

لا شك أن هناك حكمة من سؤال القبر ، وهذه الحكمة أظهرها الشيخ بقوله :" فالقبر أول منازل الآخرة ، وأول باب يفرق عنده بين المؤمن وبين الكافر " ، فالمؤمن الصادق يثبته الله – تعالى – عند السؤال ويكون آمنًا من الفتنة والافتتان ، كما قال سيدنا عمر الفاروق – رضي الله عنه – لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما قال له :" يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق أهلك فقاسوا لك ثلاثة أذرع وشبرا في ذراع وشبر ، ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير ، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما مثل البرق الخاطف ، فتلتلاك وترترك وهولاك فكيف بك عند ذلك يا عمر؟ قال: يا رسول الله ومعي عقلي؟ قال: «نعم» قال: إذا أكفيكهما"([1]) ، وهؤلاء هم المؤمنون الذين يباهي الله بهم ملائكته .

أما الكافر أو المنافق الذي أبطن الكفر وأظهر الإيمان ، فإنه يفتن في قبره حتى يفتضح أمره ، وهو نفس كلام الشيخ في أن القبر أول باب من أبواب الآخرة يفرق عنده بين المؤمن والكافر .

يقول العلامة البيجوري :"وحكمة السؤال إظهار ما كتمه العباد في الدنيا من إيمان أو كفر أو طاعة أو عصيان ، فالمؤمنون الطائعون يباهي

([1]) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث لأبي أسامة ، باب سؤال القبر ج ١ ص ٣٧٩ تح : حسين أحمد صالح الباكري ، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة ، طبعة أولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ .

الله بهم الملائكة ، وغيرهم يفضحون عند الملائكة"([1]) .

لكن ومع ذلك فإن هناك أقوامًا حفظهم الله – تعالى – من الفتنة ، ولم يحتاجوا إلى سؤال ونحوه ، ويظهر ذلك من التالي :

من لا يفتنون في قبورهم :

لقد خص الله – تعالى – بعض أهل الإيمان بأنهم ناجون من فتنة القبر ، فلا يأتيهم الفتانان كما جاء في بعض الأخبار ، ومن هؤلاء :

١ – الشهيد : يقول الشيخ الجعفري : "وأما السؤال عن كون جميع الشهداء لا يسألون في قبورهم أم شهيد المعركة فقط ؟ .

فالجواب أن شهيد المعركة ورد فيه النص أنه لا يسأل ، فروى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : يا رسول الله ! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة"([2]) . قال القرطبي : معناه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا التقى الجمعان ، وبرزت السيوف ، فرُّواْ ؛ لأن من شأن المسلم البذل والتسليم لله نفسًا ، هذا وقد ظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل فلماذا يعاد عليه السؤال

([1]) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٥ ط/ مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأخيرة ١٩٣٩ .

([2]) السنن الصغرى للنسائي كتاب الجنائز "الشهيد" ج ٤ ص ٩٩ تح : عبد الفتاح أبو غدة ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية "حلب"، طبعة ثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ .

في القبر[1] ؟ ! .

٢- المرابط في سبيل الله : ويقصد به - كما يرى العلامة القرطبي - من لازم في سبيل الله ، يعني لازم الثغور بنية الجهاد ، بخلاف سكان الثغور دائمًا بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك[2] .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"كل ميت يختم على عمله إلا من مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر"[3]

٣- المبطون : يعني من مات من وجع في بطنه "كالطاعون"- نسأل الله العافية - يقول الجعفري حكاية عن الجلال السيوطي :" وقال الجلال المذكور أيضًا ، وقد جزم شيخ الإسلام ابن حجر أن الميت بالطعن لا يسأل ؛ لأنه نظير المقتول في المعركة ، وبأن الصابر في الطاعون محتسبًا ، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب له إذا مات بغير الطعن لا يفتن أيضًا ؛ لأنه نظير المرابط ، هكذا ذكره وهو متجه ، ولا عبرة بتوقف من توقف في ذلك "[4].

٤- الملازم لقراءة سورة الملك : أي المواظب على قراءتها في معظم

---

[1] العجب العجاب فيما ورد من أحوال الموتى بعد دفنهم تحت التراب ص ٤١ للشيخ صالح الجعفري ، نشر دار جوامع الكلم بالدراسة

[2] التذكرة ص ١٤٢ للإمام القرطبي ، تحقيق د/ طه عبد الرؤوف سعد .

[3] ينظر العجب العجاب ص ٤٢ ، والحديث في سنن الترمذي ج ٤ ص ١٦٥ كتاب الجهاد باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا ، تح : أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط/ مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٦٥ .

[4] العجب العجاب ص ٤٢ .

أوقاته ، وقد ذكر الشيخ في إحدى دروسه حديث الترمذي في ذلك ، وقال : ضرب رجل من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة "تبارك الذي بيده الملك" حتى ختمها ، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال يا رسول الله : إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها ، فقال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – :" هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر "([1])

٥- من مات يوم الجمعة أو ليلتها :

فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – " ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر"([2]) .

ولا شك أن هذه العقيدة في سؤال القبر ، ونجاة بعض أهل الإيمان من فتنة القبر لا تخرج عن عقيدة وأقوال الأئمة من أهل السنة كما يظهر لمن طالعها .

ثانياً: عذاب القبر ونعيمه

يعتقد الشيخ كإخوانه من أهل السنة ، أن في القبر عذابًا للكفار والعصاة من المؤمنين، وأن في القبر نعيمًا للطائعين من المؤمنين ، وأن كل

([1]) درس الجمعة ج ١ ص ١٤٦ ، والحديث أخرجه الترمذي في سننه بلفظ قريب ج ٥ ص ١٦٤ ، ط / مصطفى الحلبي .

([2]) التذكرة للقرطبي ص ١٤٤ ، والحديث أخرجه الترمذي في سننه ج ٣ ص ٣٧٨ ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء فيمن مات يوم الجمعة ، وقال الترمذي هذا حديث غريب .

ذلك للروح والجسد معًا ، ولكن قبل ذكر عقيدته نقدم هنا أقوال الأئمة من أهل السنة وأدلتهم على ذلك وهي أكثر من أن تحصى ، ويظهر ذلك مما يلي :

أقوال أئمة أهل السنة في عذاب القبر :

تعددت أقوال أهل السنة في عذاب القبر ونعيمه ، وها هو أهمها :

يقول الإمام القرطبي – رحمه الله –: " وعذاب القبر حق ، وقد دلت عليه الدلائل من الكتاب والسنة ، قال تعالى :"وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً"[1] . قال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما –: ضنكاً قال : عذاب القبر" [2] وهناك الكثير من الآيات التي تشير بوضوح إلى أن في القبر عذابًا أو نعيمًا للميت .

ويقول الإمام الطحاوي – رحمه الله – : "ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين ، وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وعن الصحابة – رضوان الله عليهم– والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران"([3]).

([1]) سورة طه من الآية : ١٢٤ .

([2]) التذكرة للإمام القرطبي ص ١٢٧ ، تحقيق د/ طه عبد الرؤوف سعد، ينظر مصنف عبد الرزاق ج٣ ص ٥٨٤ باب فتنة القبر، وينظر الإنصاف للباقلاني ص ٤٨ .

([3]) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٨٤ – ٣٩١ تح : الشيخ أحمد شاكر ، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية ، والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

والسر في ذلك أن عذاب القبر ونعيمه ، وسؤال منكر ونكير ثابت بالأخبار المتواترة عن رسول الله ﷺ فالتصديق به واجب ؛ لأن السمع قد دل عليه أولاً ؛ ولأنه أمر ممكن وجائز في نفسه ثانيًا ، ويظهر ذلك بمشيئة الله – تعالى – من التالي :-

أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه :

أكدت الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية أن في القبر عذابًا ونعيمًا ، فمن القرآن الكريم قول الله – تعالى – في حق آل فرعون: "النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ"[١] فالآية تدل على أن في القبر عذابًا ، وأنهم يعذبون بعذابين :

الأول : توعدهم الله به بعرضهم على النار غدوًا وعشيًا، والثاني : توعدهم بأن يدخلهم يوم القيامة في العذاب الشديد ، وإذا كان العذاب الثاني يوم القيامة فإن الأول قبله في القبر بعد الموت مباشرة ، لا سيما أنه فصل بينهم بواو العطف التي تقتضى المغايرة ، فالأول بعد الموت وقبل البعث[٢] .

وأما من السنة فقد استدل أهل السنة على عذاب القبر ونعيمه بما تواتر عن رسول الله ﷺ من أحاديث ، أهمها : ما جاء عن أم المؤمنين السيدة عائشة – رضى الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ " عذاب القبر حق "[٣] .

([١]) سورة غافر الآية ٤٦ .

([٢]) حاشية شرح الطوالع للسيد الشريف ص٢٢٦ ط/ الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦هـ .

([٣]) أخرجه البخاري في صحيحه باب ما جاء في عذاب القبر ج٢ ص١٢٣ . نشر دار طوق النجاة ، طبعة أولى ١٤٢٢ هـ .

ومنها ما جاء عن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال : مر النبي ﷺ بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتجي من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة قالوا : يا رسول الله لم فعلت هذا ، قال: " لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا[1]، وغير ذلك من الأحاديث التي تثبت عذاب القبر ونعيمه .

هل العذاب والنعيم في القبر للروح فقط أو للروح والجسد معاً ؟

يعتقد أهل السنة أن العذاب أو النعيم في القبر للروح والجسد معًا ، قُبِرَ الإنسان أو لم يُقْبَر ، وعليه فمن أكلته السباع ، أو دواب البحر ، أو الطيور الجارحة ، أو أحرق وذُرَ في الرياح ، أخذ حظه من النعيم أو العذاب لروحه وبدنه معًا ؛ لأن الأمر كلَّه متعلق بقدرة الله – تعالى – الشاملة الكاملة ، ومن قال بالقادر المختار المحيي المميت ، وأنه – سبحانه – فَعَّال لما يريد ، آمن بكل ذلك .

وهنا نعود إلى أصل المسألة وهي عقيدة الشيخ الجعفري في عذاب القبر ونعيمه ، وقد قلنا إنها لا تخرج عما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، وقد سبقت أقوالهم ، فما قوله في المسألة ؟ .

إن أقواله في عذاب القبر ونعيمه ظاهرة جلية ، ومنها قوله : " والذي أجمع عليه العلماء أن العذاب في القبر يقع على الروح والجسد معًا،

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء ، باب ما جاء في أصل البول ج١ ص٦٥ .

والله على كل شيء قدير ، ويوم القيامة يعاد الجسد الحقيقي وتعاد إليه الروح كذلك "([1]) .

وكلامه هنا هو عين كلام العلامة "ابن القيم" رحمه الله تعالى-" إن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجسام وقاموا من قبورهم لرب العالمين "([2]) .

إلى جانب ذلك فإن الشيخ قد ذكر صورًا للنعيم والعذاب في القبر ، وأن الحياة فيه ليست كالحياة المعهودة في الدنيا ، وأن اتصال الروح بالبدن في القبر يغاير اتصالها به في الدنيا والآخرة ، ويظهر ذلك من قوله: " في الجنة الروح مع الجسد في نعيم ، وفي النار يكونان في عذاب ، أما في القبر فالجسم وحده والروح وحدها ، والمؤمنون فيه لا يأكلون ولا يشربون ، وإنما يتنعمون برياض الجنة حيث يرونها غدوًا وعشيًا ، وأرواح الشهداء في الجنة ، أما غيرهم فهم على قسمين : صالحون وفجرة، فالصالحون تفتح لهم طاقة من الجنة ، وتتنعم أرواحهم بروائح الجنة ، وأما الفجرة فتفتح لهم طاقة من النار يتعذبون بها في القبر غدوًا وعشيًا "([3]) .

يقول العلامة سعد الدين التفتازاني – رحمه الله – : " اتفق أهل

([1]) درس الجمعة ج ٨ ص ١١١ .

([2]) الروح لابن القيم ص ٥٢ ط/ المتنبي بالقاهرة .

([3]) درس الجمعة ج ٨ ص ٢٨ .

الحق على أن الله –تعالى - يعيد إلى الميت في القبر نوع حياة قدر ما يتألم ويتلذذ ويشهد بذلك الكتاب والأخبار والآثار ، وقد اتفقوا على أن الله – تعالى – لم يخلق في الميت القدرة والأفعال الاختيارية "([1]) أ . هـ . أي بمثل ما كان في الدنيا ؛ لأنه بالموت انتقل من دار إلى دار ، ولكن هل الميت والحالة هذه ينتفع بشيء من أعمال الأحياء التي وهبوا ثوابها إليه ؟ وما رأي الشيخ في هذه المسألة ؟ .

مسألة انتفاع الأموات من سعي الأحياء عند الشيخ الجعفري :

يرى أهل الحق أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء لدلالة الأحاديث الصحيحة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وقد حكى الإمام "النووي" – رحمه الله – الإجماع على ذلك وجعل بابًا في شرحه لصحيح مسلم باسم " باب وصول ثواب الصدقات إلى الميت " وقال : " إن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع العلماء وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع "([2]) وفي ذلك يقول الإمام "الطحاوي" – رحمه الله – " وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات "([3]) .

ويقول شارح الطحاوية : " وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في

([1]) شرح المقاصد ج ٥ ص ١١٧ ، تح د/ عبد الرحمن عميرة ، ط / عالم الكتب .
([2]) مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٩٠ ، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .
([3]) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٨ .

صلاة الجنازة مستفيضة. وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففي سنن أبي داود، من حديث عثمان ابن عفان – رضي الله عنه– قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل"([1]).

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في صحيح مسلم، من حديث بريدة ابن الحصيب، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية"([2]) .

كما يشهد لذلك ما جاء في صحيح البخاري، من طريق سيدنا عبد الله ابن عباس – رضي الله عنهما– " أن رجلا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: "نعم"، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها"([3]) .

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد ج ٢ ص ٨٨ ، نشر دار طوق النجاة ، طبعة أولى ١٤٢٢ هـ ، بدون عبارة "واسألوا له ...الخ .

([2]) شرح الطحاوية ص ٤٥٩ – ٤٦٠ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٦٦٩ كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء ، بلفظ السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غدًا ، متوجون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .

([3]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٧ ، كتاب الوصايا ، باب إذا قال : أرضي أو بستاني صدقة لله عن أمي فهو جائز .

لأجل ذلك كله قال أهل السنة : أن الأموات يصل إليهم ثواب ما وهب لهم من الأحياء من أعمال الخير والبر ، كالصدقة والاستغفار وقراءة القرآن ، وأنهم ينتفعون بذلك .

وعقيدة الشيخ الجعفري في هذه المسألة هي عين ما سبق من أقوال لأهل السنة ، وقد تحدث عنها باستفاضة في كتابه "فتح وفيض وفضل من الله في شرح كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، ومن جملة ما قال:" وقد أجمع العلماء سلفًا وخلفًا على وصول ثواب الصدقات للأموات ... ، وفي الإقناع من كتب الحنابلة أن المسلمين يجتمعون في الأمصار يقرءون القرآن ، ويهبون الثواب لأمواتهم من غير نكير فكان ذلك إجماعًا، وقد سمعت شيخنا الشنقيطي – رحمه الله – يقول : يصل ثواب قراءة القرآن للميت إذا وهبه القارئ له"(1) .

فهذه العقيدة للشيخ وما سبقها من عقيدة أهل السنة في وصول الثواب في الصدقات وغيرها من الأحياء للأموات يخرجان من مشكاة واحدة، وقد سئل الشيخ هل تصل الفاتحة إلى الأموات ؟ .

فأجاب بقوله :" الأموات في برازخهم عند ربهم أرواحهم حية وموجودة فينتظرون الساعة ، وكل شيء يوهب لهم من الأعمال من عامة المسلمين أو خاصتهم يصل إليهم ،فعندما تقرأ الفاتحة لأموات المسلمين فإن الله – تعالى – بقدرته يوصل لكل ميت ثواب فاتحته ، وإذا حج رجل عن أبيه ثم وهب له ثواب الحج فإنه يصل إليه ، وكذا إذا صنع طعامًا فإن ثوابه يصل

---

(1) فتح وفيض ص ٢٣٤ باختصار يسير ، نشر دار جوامع الكلم بالدراسة .

إليه ، وكذلك إذا سقى ماءً .. حتى لو صنع طعامًا فأكلت منه الحيوانات فإن ثوابه يصل إليه ، وكذلك إذا قرأ القرآن فإن ثوابه يصل إليه"(١) .

لطيفة :

يرى الشيخ أن الميت إذا انتفع بالفاتحة وهي سورة من القرآن ، فإنه ينتفع كذلك بإذن الله – تعالى – بباقي سور القرآن قياسًا على الفاتحة التي هي جزء منه ، لا سيما سورة "يس"، لقوله – صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد والبيهقي :" يس لما قرأت له ، فأقرأوها على موتاكم"، ويقاس عليها باقي القرآن ، وقد أشار إلى أنه رأي اختاره الإمام "الشوكاني" في كتابه "نيل الأوطار" وردَّ على الشيخ "محب الدين الطبري" في قوله :"على المحتضرين" بأن الحديث يقول "موتاكم" والميت غير المحتضر ، فلم صرفت اللفظ عن حقيقته إلى مجازه من غير قرينة ، ثم قال الشيخ : وإني راض عن قول "الشوكاني" غاية الرضا ؛ لأنه الواقع والمعلوم من الحديث ، والذي عليه الناس سلفًا وخلفًا(٢) .

وقال : "وفي صحيح البخاري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قرأ الفاتحة بعد تكبيرة الإحرام في صلاة الجنازة ، فإذا نفعت الميت أم القرآن (الفاتحة) ، فالأولى أن ينتفع الميت بالقرآن كله "(٣) .

يقول العلامة "القرطبي" : " قال محمد بن أحمد المروزي سمعت أحمد

---

(١) درس الجمعة ج١ ص ٣٩ .

(٢) راجع فتح وفيض ص ٢٣٦ .

(٣) درس الجمعة ج ١ ص ١٥٢ .

بن حنبل يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم ، – ثم قال – وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقه النبي– صلى الله عليه وسلم – باثنين ، ثم غرس على هذا واحدًا وعلى هذا واحدًا ، ثم قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا ، قالوا : ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار ، فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن"([1]) .

ويقول الإمام "ابن تيمية" : " وأما " القراءة والصدقة " وغيرهما من أعمال البر ، فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة في وصول ثواب العبادات المالية كالصدقة والعتق ، كما يصل إليه أيضا الدعاء والاستغفار والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعاء عند قبره.

وتنازعوا في وصول الأعمال البدنية: كالصوم والصلاة والقراءة. والصواب أن الجميع يصل إليه فقد ثبت في الصحيحين عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"([2]) ، وثبت

([1]) التذكرة ٧٣ باختصار ، وراجع شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص ٣٠٥ للحافظ السيوطي ، تح / عبد المجيد طعمة حلبي ، نشر دار المعرفة – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ٣٥ كتاب الصيام ، باب من مات وعليه صيام .

أيضًا: "أنه أمر امرأة ماتت أمها وعليها صوم أن تصوم عن أمها"([1]). ومثله الكثير .

فهذه الأقوال تؤكد العقيدة السنية للشيخ الجعفري ، وأنها امتداد لعقيدة السلف في انتفاع الأموات من سعي الأحياء ، ووصول الثواب إليهم في برزخهم ، وعليه فعقيدته في الحياة البرزخية ، وعدم إخراجها عن مضمونها السُني برمز أو تأويل ، لا تخرج عن مذهب أهل السنة المتلقى من الشرع الحنيف قيد شعرة .

([1]) الحديث جاء في الحج – ويقاس عليه الصوم – عن ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح البخاري بلفظ : «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: "حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء" .

المبحث الثاني
البعث والقيامة في عقيدة الشيخ الجعفري

البعث ركن من أركان الإيمان يجب التصديق به لثبوته بأدلة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف – على ما سيأتي إن شاء الله تعالى – ، فمنكره كافر ؛ لإنكاره معلومًا من الدين بالضرورة ، فمن الطبيعي أن تكون هذه العقيدة راسخة عنده ، ظاهرة في تراثه ، ولكن قبل ذكر عقيدته في البعث يجدر بنا أن نشير إلى مسألة عقدية عنده وهي لا شك تسبق البعث ؛ لأنها التي تؤذن بحصوله ، وهي مسألة النفخ في الصور ، ويظهر ذلك بمشيئة الله – تعالى – فيما يلي :

<u>النفخ في الصور في عقيدة الشيخ الجعفري</u> :

إن النفخ في الصور من جملة ما يجب على كل مسلم أن يؤمن به ، ويقصد بالصور في اللغة "البوق أو القرن" ، ففي تاج العروس : "الصُّورُ : بِالضَّمِّ: القَرْنُ يُنْفَخُ فِيهِ" [1]، ومنه حديث سيدنا أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رَسُولُ اللَّه– صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال : "كَيْفَ أَنْعَمُ وصاحبُ القَرْن قَدْ التَقَمَهُ وحَنى جَبْهَتَه وأَصْغَى سَمْعُهُ يَنْتظر مَتَى يُؤْمَرُ؟ قَالُوا: فَمَا تأْمرنا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"[2] .

هذا ويعد النفخ في الصور مقدمة من مقدمات يوم القيامة ، وهو

---

[1] ج ١٢ ص ٣٦٢ ، نشر دار الهداية ، وراجع لسان العرب ج٤ ص ٤٧٦ .

[2] أخرجه الترمذي في سننه ج ٤ ص ٦٢٠ كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصور ، قال الترمذي : حديث حسن .

ثابت بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة عن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم – ، يقول الحق – تعالى – "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"([1]) .

وروى الحافظ السيوطي عن عبد بن حميد عن الحسن أنه سئل عن قول الله تعالى " يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ"([2]) قال: هما النفختان، أما الأولى فتميت الأحياء ، وأما الثانية فتحيي الموتى ، ثم تلا هذه الآية "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ"([3]) .

وقد جاءت الأخبار عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن إسرافيل – عليه السلام – هو الملك الذي وكلّه الله – تعالى – بالنفخ في الصور ، من ذلك عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا كَعْبٌ الْحَبْرُ فَذَكَرَ إِسْرَافِيلَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا كَعْبُ، أَخْبِرْنِي عَنْ إِسْرَافِيلَ، فَقَالَ كَعْبٌ: عِنْدَكُمُ الْعِلْمُ، فَقَالَتْ: أَجَلْ، فَأَخْبِرْنِي، قَالَ: " لَهُ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ، جَنَاحَانِ فِي الْهَوَاءِ، وَجَنَاحٌ قَدْ تَسَرْبَلَ بِهِ، وَجَنَاحٌ عَلَى كَاهِلِهِ، وَالْعَرْشُ عَلَى كَاهِلِهِ وَالْقَلَمُ عَلَى أُذُنِهِ، فَإِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ كَتَبَ الْقَلَمُ، ثُمَّ دَرَسَتِ الْمَلَائِكَةُ وَمَلَكُ الصُّورِ جَاثٍ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَدْ نُصِبَتِ الْأُخْرَى، فَالْتَقَمَ الصُّورَ مَحْنِيٌّ ظَهْرُهُ، شَاخِصٌ بَصَرُهُ إِلَى إِسْرَافِيلَ، وَقَدْ أُمِرَ إِذَا رَأَى إِسْرَافِيلَ قَدْ ضَمَّ جَنَاحَهُ أَنْ يَنْفُخَ فِي

([1]) سورة الزمر الآية : ٦٨ .

([2]) سورة النازعات الآيتان ٦ – ٧ .

([3]) الدر المنثور ج ٨ ص ٤٠٦ ، نشر دار الفكر – بيروت .

الصُّورِ" ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: " هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ"([1]) .

فما سبق يؤكد لنا أن النفخ في الصور واقع عندما يشاء الحق – سبحانه وتعالى – عن طريق سيدنا إسرافيل – عليه السلام – ؛ لأنه الملك الموكل بذلك ، فينفخ النفخات التي شاءها المولى – تعالى – وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة .

من هنا نجد الشيخ –رحمه الله – على هذه العقيدة السنية في النفخ في الصور ، كما هو عليه في سائر العقائد ، وأنهما نفختان على الراجح ، الأولى منهما: نفخة الصعق ، والثانية : نفخة البعث والإحياء ، ويظهر ذلك من قوله :" في النفخة الأولى تموت الخلائق كما تموت الملائكة " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ" والله – سبحانه وتعالى – ينادي لمن الملك اليوم ؟ ! ثم يرد على نفسه : لله الواحد القهار .. ، سبحان من تعزز بالقدرة والبقاء ، وقهر العباد بالموت"([2]) .

وقوله عند قول الحق – تعالى :" إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً"([3]). يوم القيامة ينفخ إسرافيل في الصور وتكون الأرواح في مكان اسمه الصور ، ومعنى " ينفخ " أي : ينادي كما روى البخاري ومسلم عنه – عليه الصلاة والسلام – من أن إسرافيل ينادي في الصور : أيتها العظام النخرة والأجساد

([1]) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٩ ص ١١٤ تح: طارق بن عوض الله ، نشر دار الحرمين بالقاهرة .

([2]) درس الجمعة ج٧ ص ١٨ .

([3]) سورة النبأ الآية : ١٧ .

المتمزقة ، والشعور المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ، فينادي أولاً على العظام ، ثم الأجساد ، ثم الشعور ، فيجتمع جميع جسد الإنسان ، وهذا النداء يسمعه كل ميت فإنه يرجع مرة أخرى كيوم دفنه ولو صار ترابًا في أقل من طرفة عين ، ويكون العالم كله كرجل واحد ، وتنتشر في الأرض الأجساد العارية فوق القبور ، وهذه هي النفخة الثانية وتسمى نفخة البعث ([1]) .

ويقول : "أما النفخة الثانية في قوله تعالى – " ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" " فهي للأرواح ينادى عليها فتجيب فيقال لها : اذهبي إلى جسدك فتذهب إلى الجسد كلمح البصر ، ويعود الإنسان إنسانًا "([2]) .

فخلاصة ما سبق أن الشيخ يؤمن بالنفخ في الصور على حقيقته ، ويرى ما يراه الجمهور من أهل السنة أنهما نفختان ، النفخة الأولى : نفخة الصعق ، والثانية : نفخة الإحياء للبعث والنشر ، وإن كان البعض من أهل العلم ذهب إلى أن هناك نفخة ثالثة تسمى : نفخة الفزع ، وهي المقصودة بقوله – تعالى – :" وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ"([3]) .

شبهة وردها :

لقد تأول الأستاذ الإمام "محمد عبده" – رحمه الله – النفخ في

([1]) درس الجمعة ج ٧ ص ١٣٠ .

([2]) المصدر السابق ج١ ص ٩٥ .

([3]) سورة النمل الآية : ٨٧ . راجع التذكرة للإمام القرطبي ص ١٧٧ ، وتفسير الطبري جامع البيان ج ١٨ ص ٥٥٨ .

الصور بأنه مجاز عن سرعة البعث ، فلم يثبت نفخًا حقيقيًا في الصور ، فقال في قوله – تعالى – :" يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً"(1) : هذا كناية عن سرعة البعث ، التي هي كأنها نفخة في البوق ، فعقب الجعفري على قوله ، قائلاً :

"وهذا خطأ كبير وغلط ؛ لأن الله – تعالى – ما أراد الكناية ، بل أراد "الصور" حقيقة ، وأراد أن الملك ينفخ في الصور ، ولكن النفخ كلام يلقيه سيدنا إسرافيل في الصور الذي كغرفة الإذاعة ، فيقول :" أيتها العظام النخرة والأجساد المتمزقة ، والشعور المتفرقة : إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ، فيجمع الله الشعور والأجسام واللحم المتمزق كله ليوم الفصل ، هذا هو النفخ في الآخرة "(2)

وإذا كان النفخ في الصور إيذانًا ببعث الخلائق وقيامهم من قبورهم لرب العالمين – سبحانه وتعالى – فإن هذا بدوره ينقلنا للحديث عن البعث في عقيدته – رحمه الله – .

البعث والمَعَاد في عقيدة الشيخ الجعفري :

قبل الحديث عن البعث عنده يجدر بنا أن نبين معناه ، وحكم الإيمان به ، ويظهر ذلك مما يأتي :

---

(1) سورة النبأ الآية : ١٨ .

(2) درس الجمعة ج ١ ص ١٠٤ .

تعريف البعث وحكم الإيمان به :

البعث هو " إحياء الله الموتى من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية"([1]).
أي : إنه إحياء الله – تعالى – للأموات ، كما قال – سبحانه –: " ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ"([2]) ، وإخراجهم من قبورهم للجزاء على أعمالهم الدنيوية ، ومن ثم فإن المسلمين جميعًا يشهدون بأن الله – تعالى – سيعيد جميع الخلائق حتمًا يوم القيامة ليجازي كلاً بما عمل ؛ لأن الله – تعالى – أمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يقسم بربه – تعالى – بوقوع البعث بعد تكذيب المشركين به فقال – سبحانه – " زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ"([3]) وقال – سبحانه " وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ"([4]) .

من هنا كان الإيمان بالبعث عند أهل السنة واجبًا يقينيًا ، يعني إيمانًا لا يحتمل النقيض ، إيمانًا لا تجد معه شكًا ولا وهمًا ولا ظنًا ولا ترددًا ولا ارتيابًا ؛ لأن أي واحدة منها تخرج التصديق به عن كونه يقينيًا ، وهي نفس عقيدة الشيخ وإليكم التوضيح :

ظهرت عقيدة البعث عنده من تراثه الفياض ، شعرًا أو نثرًا ، فمثلاً يقول في

([1]) حاشية السباعي على الخريدة ص ١٣٧ .
([2]) سورة البقرة الآية : ٥٦ .
([3]) سورة التغابن الآية : ٧ .
([4]) سورة سبأ الآية : ٣ .

ديوانه عن البعث وأمور الآخرة :

شُهُودكَ يَا رَبِّ أَعَزُ مِنَ الْخُلْدِ   رَجَائِي بِأَنْ يَبْقَى إِلَى ضَجْعَةِ الَّلحْدِ
إِلىَ البَعْثِ وَالمِيزَانِ وَالحَشْرِ وَاللِّقَا   أَسِيرُ بِهِ فَوْقَ الصِرَاطِ فَيَا سَعْدِي
وَأَلْقَاكَ فِي الْفِرْدَوْسِ وَالنُورُ سَاطِعٌ   فَلاَ غَابَ عَنْ قَلْبِي شُهُودٌ مَعَ الوَجْدِ([1])

فالشيخ صالح الجعفري كسائر أهل السنة يؤمن أن التصديق باليوم الآخر – ومنه – البعث ركن من أركان الإيمان ، وأن القيامة آتية بلا ريب، وأن علامات كثيرة تسبقها([2]) كما جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن الإيمان بالبعث من الأمور التي اهتم بها القرآن الكريم ، شأنها شأن الاهتمام بمسألة الإيمان بوحدانية الله – تعالى – وفي ذلك يقول : " يهتم القرآن الكريم بتوحيد الله – سبحانه وتعالى – وأقام الأدلة على أنه واحد لا شريك له ، وكذلك يهتم القرآن بالبعث بعد الموت ، وأقام أدلة قرآنية وكونية على أن القيامة آتية ، وأن الناس سيبعثون بعد الموت ، فالدين متوقف على هذين الأمرين : الإيمان بالله ، وبلقاء الله سبحانه "([3]).

([1]) ديوان الجعفري ج٩ ص ١٦٥ .

([2]) ذكرها الشيخ – رضي الله عنه – غير مرة في درس الجمعة ، منها على سبيل المثال قوله : بعد قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق " وقد ذكرت لكم – قبل هذا الدرس – علامات الساعة ، ويجمعها رمز هو : (تَمدُّ عيْرٌ دَقّ) فالتاء : ترك ، والميم : مهدي ، والدال : دجال ، والعين : سيدنا عيسى ، والياء : يأجوج ومأجوج ، والراء : رفع القرآن ، والدال : دابة "وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض" والقاف : قيامة .درس الجمعة ج٢ ص ١٩٩ .

([3]) درس الجمعة ج٦ ص١٥ .

ويرى أن إنكار البعث ، أو الشك فيه كفر صريح يخرج صاحبه من الملة ، ويلحقه بالكفار والوثنيين الذين لا يؤمنون بإله واحد لا شريك له ، ولا بيوم يبعث فيه الخلائق ، وفي ذلك يقول بأسلوب التحذير: " إياك أن تشك في البعث فتكفر ؛ لأنك كما خرجت من بطن أمك تخرج من باطن الأرض عند البعث ، "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ"([١]) – سبحانه وتعالى – علمنا لنصدق ونؤمن "فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ"([٢]) ، وقضاؤه – سبحانه وتعالى – مبرم "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَما أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ"([٣]) ، وكما أنزل الإنسان من بطن أمه في يوم معلوم ، يدخله في بطن الأرض في يوم معلوم ، ويخرجه كذلك منها في يوم معلوم "([٤]) .

ويقول : " إن الكفار – لعنة الله عليهم – عندما اجتمعوا اعترضوا على البعث وقالوا : كيف إذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا رميمًا قديمة كيف نعود خلقًا جديدًا مرة أخرى ؟ ! فنزل القرآن ليرد عليهم قولهم السقيم ، ويقول ابن آدم هذا معاند وجهول "([٥]) .

لأن المشركين كانوا يستبعدون أمر المَعَاد وقد حكى القرآن الكريم عنهم هذا الاستبعاد وألفاظه ، كقولهم " أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

([١]) سورة يسن الآية : ٨١ .
([٢]) سورة الأعراف الآية : ٣٤ .
([٣]) سورة ق الآية : ٢٩ .
([٤]) درس الجمعة ج٢ ص ١١٥ – ١١٦ .
([٥]) درس الجمعة ج ٤ ص ١٤٨ – ١٤٩ .

خَلْقاً جَدِيداً"([1]) ،وقولهم : " أَإذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَإنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ"([2]) وقولهم : "مَنْ يُعِيدُنا"([3]) ؟ ، وقولهم : " أَإذا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً * قالُوا تِلْكَ إذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ"([4]) ، إلى غير ذلك من صيغ الاستبعاد المتضمن للإنكار المطلق للبعث ، من هنا جاء الآيات الكثيرة للرد عليهم بتأكيد وقوع المعاد أو البعث ، وأن قدرة الله لا يقيدها قيد ، ولا يحبسها حابس ، حتى وإن لم تستوعب عقولهم المنغلقة هذه المعاني العظيمة .

ثم ساق الشيخ هذه الأدلة التي أوردها القرآن الكريم ردًا على منكري البعث بطريقته السهلة القريبة التي تدخل العقل والقلب والوجدان ، ويتضح ذلك مما يلي :

أدلة ثبوت البعث في عقيدة الشيخ الجعفري :

أخذ الشيخ دليل أهل السنة في إثبات وقوع البعث من خواتيم سورة "يسن" حيث إن هذا الدليل شمل عدة أقيسة للبعث الذي هو أمر غيبي ، على أمور حسية يدرك الناس معناها ، يقول الحق – تعالى – "أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نارًا فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَهُوَ الْخَلَّاقُ

([1]) سورة الإسراء الآية : ٤٩ .

([2]) سورة السجدة الآية : ١٠ .

([3]) سورة الإسراء من الآية : ٥١ .

([4]) سورة النازعات الآيتان : ١١ – ١٢ .

الْعَلِيمُ * إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ "([1]) . وسبب نزول هذه الآيات كما " قال المفسرون: إن أبي بن خلف أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – بعظم حائل قد بلي، فقال: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رَمَّ ؟ فقال: "نعم، ويبعثك ويدخلك النار"، فأنزل الله – تعالى – هذه الآية: "وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ" ([2]) .

وقد كان هذا الكافر الوثني جهولاً في استبعاده وقوع البعث ؛ لأنه نسي أو تناسى أمورًا كثيرة ما كان ينبغي له أن ينساها ، وهو ما سبقت الإشارة إليه من الأقيسة للبعث الغيبي على الكثير من الأمور المحسوسة المادية ، وهاكم الأقيسة([3]):

<u>القياس الأول</u> : <u>قياس الإعادة على النشأة الأولى</u> .

وقد أُخِذَ هذا القياس من قوله – تعالى – في الآية " قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ " يقول الشيخ في سوق الدليل والرد على هذا الكافر المجادل ، المنغض رأسه باستبعاد وقوع البعث ، المتناسي أن الذي أوجده من لا شيء قادر على إعادته وبعثه ولو صار رميمًا:

" الجواب :" قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ " قل يا

([1]) سورة يسن الآيات : ٧٧ – ٨٣ .

([2]) أسباب النزول ص ٢٧٨ للواحدي ، تح / عصام بن عبد المحسن الحميدان ، نشر : دار الإصلاح بالدمام ، الطبعة الثانية ١٩٩٢.

([3]) راجع دراسات في العقيدة حول السمعيات ص ١٧٩ وما بعدها د / محمد عبد الصبور هلال ط/ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

رسول الله للكافر المغفل هذا : الذي خلقها أول مرة موجود ، يحييها ، هل هذه العظام جاءت من نفسها ؟ لا . الذي خلقها في أول مرة يعيدها ، كيف هذا الكلام ، العظام الجافة المفتتة تعود طرية مرة أخرى وينبت عليها اللحم؟ نعم "([1]) .

فلا بد أن يفرق هذا الكافر بين المعبود بحق وهو الإله القادر الخالق ، وبين ما اتخذ إلهًا وليس له من خصائص الألوهية أدنى شيء ، وصدق الله إذ يقول : " أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ"([2]) ، فالله رب العالمين وحده هو الإله الحق القادر على إحياء الموتى وبعثهم ؛ لأنه أوجدهم أولاً من العدم ، فيعيدهم مهما كانت أجسامهم ، رفاتا متكسرة ، أو حجارة ، أو حديدًا صلبًا ! .

يقول الجعفري في هذا المعنى : " فلا شيء في الدنيا تراه عينك أو تسمعه أذنك ، إلا وهو من آثار قدرة الله ... فما دمت حيًا أو ميتًا ، فأنت ترى أثرًا من قدرة الله ، وإذا قمت يوم القيامة ودخلت الجنة ، رأيت من آثار قدرة الله([3]) .

<u>القياس الثاني :</u> قياس الإعادة على إخراج الشيء من ضده .

وقد أُخِذَ هذا القياس من قول الحق – تعالى – : " الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ " .

"قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ وللأخرى العفار، فمن أراد

([1]) درس الجمعة ج٤ ص ١٤٩ .

([2]) سورة النحل الآية : ١٧ .

([3]) درس الجمعة ج٢ ص ٤٩ باختصار .

منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منها النار بإذن الله عز وجل"[1] .

ويقول الجعفري مخاطبًا المنكرين للبعث :" عود العظام مرة أخرى عندكم بعيد ، فما رأيكم في الشجر الأخضر الذي يخرج نارًا ، هناك شجرة موجودة عند العرب ، فيها طبقة إذا حكت ببعضها أخرجت نارًا ؟ ، فهذا رد على من قال : " مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ "[2] .

أَمَا عَلِمَ المنكرون للبعث أن الذي يخرج النار الجافة من ضدها وهو الشجر الأخضر الرطب ، قادر على إعادة الأجسام وبعثها وَرَدِّ أرواحها إليها ؛ لأن كل ما في الكون – ومنه عناصر الطبيعة – مسخر ومنقاد لخالقه وفاطره ومبدعه – سبحانه وتعالى .

<u>القياس الثالث :</u> قياس الإعادة على خلق السموات والأرض .

وقد أُخِذَ هذا القياس من قول الحق –تعالى– في نفس السورة " أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ" .

فيقول الشيخ صالح بعد الاستدلالات السابقة :" ثم جاء برد آخر فقال : " أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى" ، فأنتم يا عرب إذا بنى الواحد منكم مسجدًا كبيرًا ثم انهدم ، أيستطيع أن يبنيه مرة أخرى ؟ نعم ، فهذا مثل عربي ، أفلا يستطيع ربكم وهو خالق السموات والأرض أن يزيل الخلق جميعًا ثم يعيدهم مرة أخرى ؟ إنه يقدر –سبحانه

---

[1] تفسير البغوي ج ٥ ص ٣٤٠ ، تح :عبد الرزاق المهدي ، نشر دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ

[2] درس الجمعة ج٤ ص ١٤٩ .

وتعالى- وهو الخلاق العليم ، يحيي العظام وهي رميم بعدما تفتت وتكسرت"([1]) .

وصدق الله العظيم إذ يقول : "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"([2])، فهذه العقول الضالة المتعامية هل فاتها بعد اعترافها بخلق الله – تعالى- للسموات والأرض ، أن تُقِرَّ وَتُذْعن أن الذي أبدع وفطر هذا الخلق العظيم العجيب المتقن المحكم ، قادر على إعادة البشر مرة ثانية بعد فنائهم؟.

وهل فاتهم حتى بمعيار العقل القاصر أن هذه الأجسام المنعدمة أو المتفرقة ، قد استفادت من الوجود الأول – في الدنيا – ملكة الاتصاف به ، فليس الوجود غريبًا عنها، فإعادتها ثانيًا أهون من إيجادها أولاً – ولله المثل الأعلى – فأين عقولهم من النشأة الأولى ؟ وأين عقولهم من خلق السموات والأرض ؟ ، فتعالى الله القادر الذي أمره بين الكاف والنون ، العليم الذي لا تخفى عليه خافية أبدًا .

كما قال الشيخ عند قوله – تعالى – :" قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ " "وأول مرة هذه تحتاج إلى فريد تفسير : فالذي خلقهم أول مرة معتدلين منظمين : عيون في محلها ، ورأس في محلها ، ويدان في محلهما .. ، خلق مبدع ومنظم ، فالذي أبدع في الخلق الأول ، يبدع في الثاني ، والذي

([1]) درس الجمعة ج٤ ص ١٤٩ – ١٥٠ .

([2]) سورة الأحقاف الآية : ٣٣ .

خلق في الأول ، يخلق في الثاني ، "وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" أي : لمّا خلقتهم أول مرة كانوا في بطون أمهاتهم ، ولكنهم الآن مجرد عظام مختلط بعضها ببعض ، ورؤوس "جماجم" يشبه بعضها بعضًا ، لكنني عالم بكل مخلوق على حدة ، كأنه وحده ، إذا خلقته كأني أخلقه وحده ، فلا يختلط مخلوق بمخلوق ، إنه "العليم" يا هذا "([1]) .

ولعله مما ينبغي أن نلفت الأنظار إليه هنا ، أن هذا المقام يشبه أن يكون معنيًا بقوله تعالى : " وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"([2]) ، أن الأهونية هنا بالنسبة لقدرة المخلوق ، فهو الذي تتفاوت المقدورات بالنسبة إليه ، أما بالنسبة لقدرة الخالق – سبحانه وتعالى – فجميع الممكنات أمامها على السواء ، فلا يوجد فيها أسهل ولا أسهل منه([3]) . فلا يمكن أبدًا أن نجعل صفة المخلوق كالخالق ، أو العكس .

ولهذا قال – سبحانه –"وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ" ثم قال :"وهو الخلاق العليم" ،"فلا يختلف الترتيب .. كل إنسان ترجع إليه عظامه ولحمه وأعضاؤه ، بكل مخلوق عليم ! عليم جدًا أعلم من كل عالم ، الخلق جميعًا يقومون يوم القيامة ، ولكل أعضاؤه : يداه ورجلاه وعيناه معه كما كانوا وهم أحياء ، سبحانك ! آمنا بك يا رب ! اللهم إنا نعوذ بك من الشك بعد اليقين([4]) .

([1]) درس الجمعة ج٣ ص ١٢٣ .

([2]) سورة الروم الآية : ٢٧ .

([3]) راجع شرح المقاصد للعلامة سعد الدين التفتازاني ج ٥ ص ٨٤ .

([4]) درس الجمعة ج٤ ص ١٥٠- ١٥١ .

وهذا هو العلم الإلهي الذي تفرد به الخالق – سبحانه وتعالى – مع القدرة الشاملة التي لا يحدها حد ، فللمخلوق صفته التي وَهَبَها الخالق – سبحانه – له ، وللخالق صفته المتصف بها بذاته المقدسة عن الشبيه والنظير والعجز والافتقار ، فهو – سبحانه – "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" .

فالخلاصة أن العَوْد عند الشيخ الجعفري حق ثابت ؛ لدلالة الأدلة من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وإجماع أئمة أهل السنة عليه .

المُعَاد في عقيدة الجعفري :

فُهم مما سبق أن الشيخ يقول بإعادة الأجساد مع الأرواح ، وإلى جانب ذلك فإنه يرى أن الأجسام عند الإعادة تعاد بأعيانها ، أي : نفس البدن المعدوم وليس مثله ، كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة ، ويتأكد ذلك بما جاء عنه في هذا المقام وهو يستشهد عليه بقول الإمام اللقاني – رحمه الله – :

وَقُلْ يُعَادُ الجِسمُ بالتَحْقيق عَنْ عَدَمٍ وَقِيلَ عَنْ تَفْرِيق

فقال عقيب البيت :"أي : يعيده الله – تعالى – بعينه ، فالجسم الثاني المعاد هو الجسم الأول بعينه ، لا مثله "([1]) .

وإذا كان يرى كأهل السنة أن العَوْدَ للأجسام (الجواهر) بعينها ، وأنه أمر ممكن عقلاً ؛ لأنه لم يقم دليل على استحالته ، كيف وهو لا يخرج عن قدرة القادر المختار – سبحانه وتعالى – فالسؤال : ما رأي الشيخ في إعادة

([1]) درس الجمعة ج٧ ص ١٢٩ – ١٣٠ .

الأَعْرَاض([1]) ، كالبياض والسواد ، والطول والقصر ، والبدانة والنحافة ، وغير ذلك ؟

في الحقيقة إن مذهب الشيخ في هذه المسألة هو مذهب الجمهور من أهل السنة ، لا سيما إمام المذهب الشيخ الأشعري – رضي الله عنه – ، وهو أنها –أي : الأعراض – تعاد كما كانت في الدنيا عند إعادة جسمها([2]) ، وفي هذا المعنى يقول:

" يبعث ابن آدم على الحالة التي كان عليها من حيث الخلقة " كما بدأكم تعودون " أما من جهة الهيئة فإنه يبعث على الحالة التي مات عليها ، إن كان سمينًا يبعث سمينًا ، وإن كان نحيفًا يبعث نحيفًا ، وإن كان قصيرًا يبعث قصيرًا ، وهكذا ، أما من حيث الأعمال التي كانوا يعملونها فإنهم يبعثون عليها كذلك ، قال – عليه الصلاة والسلام – " إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم"([3]) .

والذي يمكن أن يفهم من كلام الشيخ أن العَوْدَ مثل البدء ، فكما بدأنا الله – تعالى – من العدم فإنه قادر على إعادتنا بعد العدم ، هذا بالنسبة

([1]) يرى الجرجاني أن العَرَضَ هو : الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل، يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به، والأعراض على نوعين: قار الذات، وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالبياض والسواد، وغير قار الذات، وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالحركة والسكون ، التعريفات ص ١٤٨ ، باب العين .

([2]) راجع تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٧ ، ط/ مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ١٩٣٩ .

([3]) درس الجمعة ج ٢ ص ١٣٤ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ٩ ص ٥٦ ، كتاب الفتن ، باب إذا أنزل الله بقوم عذابًا .

للجسم الذي هو الجوهر ، أما الأعراض الملازمة للبدن ، وهي التي عبر عنها الشيخ في النص بقوله : "أما من حيث الهيئة ..الخ" ، فإنه أيضًا يبعث على الحالة التي مات عليها " أي أنه يعاد بأعراضه التي كان عليها في الدنيا ، من سِمَن أو نحافة ، أو قصر أو طول ، أو بياض أو سواد ، أو ما شاكل ذلك .

وأما الأعمال وهي أعراض ليست ملازمة ، فإنها تعاد أيضًا ، لكنها تعاد مُجَسَّمة ، أي مصورة بصور الأجسام ، فالأعمال الصالحة تصور بصورة حسنة ، والأعمال السيئة تصور بصورة قبيحة ، وهو أمر ثبت في السنة من طريق سيدنا البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد له، فجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ، وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، في يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه، فقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر" مرتين، أو ثلاثا، ثم قال: " إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزل إليه الملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من كفن الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس المطمئنة الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، ولا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا

قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه في الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي أفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، فيفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسرك، وهذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربي أقم الساعة، رب أقم الساعة ثلاثا، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في أعضائه كلها، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فتتقطع معها العروق والعصب، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها من يده، فيجعلوها في تلك المسوح "، قال: " ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا

يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا فيستفتحون لها فلا يفتح لها "، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ"([1]) ، قال: " ثم يقول الله – سبحانه وتعالى –: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحا "، ثم قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ"([2]) .

فهذه كلها دلائل على أن الأعمال – وهي أعراض – تتجسد بما كانت عليه في الدنيا ، الخير بالخير ، والسوء بالسوء ، كما جاء العمل الحسن لصاحبه في قبره في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح ، والعمل السيئ على العكس من ذلك ، وهو بعينه ما يؤكد أن عود الأعراض للجسم عند بعثه أمر ممكن ، لا ينكره العقل أبدًا .

([1]) سورة الأعراف الآية : ٤٠ .

([2]) سورة الحج الآية : ٣١ ، والحديث أخرجه أبو داود في سننه ج ٣ ص ٢١٣ كتاب الجنائز ، باب الجلوس عند القبر .

المبحث الثالث
الحشر في عقيدة الجعفري

كما آمن الشيخ بالبعث بعد الموت ، وفق عقيدة أهل السنة المؤيدة بنصوص القرآن الكريم ، وأحاديث سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – فإنه كذلك – وهو الإمام السني الأشعري – يؤمن بالحشر ، وأنه للأرواح والأجساد ، وأن الناس يحشرون على الأرض المبدلة التي لم يعص الله – تعالى – عليها ، ولكن قبل الاستدلال على ذلك من كلام الشيخ يجدر بنا أن نُعرِّف الحشر إتمامًا للفائدة ، ويتضح ذلك من الآتي :

تعريف الحشر :

يقول شارح الجوهرة :" والحشر عبارة عن سوقهم جميعًا إلى الموقف ، وهو الذي يقفون فيه من أرض القدس المبدلة التي لم يعص الله عليها لفصل القضاء بينهم "([1]) .

فبعد بعث الخلائق من قبورهم يساقون إلى موقف الحساب للقضاء بينهم ، أي : يحشرون ، ويكونون على ما كانوا عليه في الدنيا ، وفي هذا المعنى يقول الجعفري :" يحشر المرء على ما كان عليه عند وفاته ، شباب ، شيب ، أبيض ، أسود ، كما يكون ... والإنسان عند الحشر لا يفكر إلا في نفسه ، لا في امرأته ، ولا أولاده ، ولا أمه ولا أبيه ، فإذا وقف على قدميه إن كان مؤمنًا قال :" هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون "([2]) .

([1]) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٢٥ .

([2]) درس الجمعة ج٣ ص ١٣١ .

فيظهر من هذا النص أن الحشر عند الشيخ واقع ، وأن الإنسان يحشر على ما مات عليه ، ولأهواله لا ينشغل المرء إلا بنفسه ، فلا يفكر في زوج ولا ولد ، ولا والد ولا والدة ، وهو ما يشير إليه قول الله – تعالى – :"يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ"(١)

كما عبَّر عن الحشر وأحوال القيامة في أبيات كثيرة من ديوانه المنظوم شعرًا ، منها قوله :

أَمِتْنَا عَلَى الإِيمَانِ وَالدِّينِ وَالتُّقَى نَكُونُ عَلَى حَوْضٍ إِذَا حَصَلَ الحَشْرُ(٢)

وقوله :

لَكَ الْحَمْدُ فِي حَشْرٍ إِذَا قُمْتُ وَاقِفًا وَشَاهَدْتُ مَا يُرْضِي لِكُلِّ مُوَحِّدِ(٣) .

وقوله عن الشفاعة العظمى لرسول الله –صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء:

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ حَامِدٍ حَمِدَ الكَرِيمَ لَهُ شَكَرْ

إِنْ كَانَ شَفَّعَهُ الكَرِيم فِي مَوقِفِ الحَشْرِ العَظِيمْ

مِنْ بَابِ أَولَى يَا سَلِيم اليَومَ يُقْبَلُ فِي الوَطَرْ(٤) .

إلى غير ذلك من أقواله الكثيرة في إثبات الحشر وسوق الناس إلى الموقف ، وعقيدة الشيخ في الحشر – بدلالة ما سبق – هي عقيدة أهل

---

(١) سورة عبس الآيات : ٣٤ – ٣٧ .

(٢) ديوان الجعفري ج ١٠ ص ٦٧ .

(٣) ديوان الجعفري ج ٩ ص ١٥٠ .

(٤) ديوان الجعفري ج٩ ص ١٧٢ .

السنة من أنه يكون للأجساد والأرواح معًا ، خلافًا للفلاسفة الذين ينكرون حشر الأجساد لامتناع إعادة المعدوم عندهم ، ويجعلونه للأنفس أو الأرواح فقط .

يقول الشيخ :"لقد أمسك إسرافيل بالصور ونفخ فيه بالنداء : يا أرواح : نعم ! كل روح منكم تعرف جسدها ، الله تعالى علَّمها ، فلتذهب كل روح إلى جسدها ، فتأتي الأرواح تسبح كالطير ، والأجساد قد رجعت تنتظر الروح ، فتأتي الروح إلى الجسد ، فتدخل الجسد من الرأس "فإذا هم قيام ينظرون "([1]) .

ويرى كذلك كأهل السنة ، أن الحشر إنما يكون بالأرض المُبَدَّلة ، وهي أرض لم يعص الله عليها ، ولم يسفك عليها دم أبدًا ، ويظهر ذلك من قوله: " الحساب يوم القيامة يكون في أرض جديدة ، فالله – تعالى – يأبى أن يحاسب العباد في أرض قد عصوه فيها ، وفي البداية يظهر الحق – تعالى – فيقول أنا الديان ، ويكون هذا بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

سألت السيدة عائشة – رضي الله عنها – النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قوله تعالى : " يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ"([2]) ، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : " على الصراط "([3]) .

([1]) درس الجمعة ج ٣ ص ١٣١ .

([2]) سورة الرعد من الآية : ٤٨ .

([3]) درس الجمعة ج١ ص ١٠٥ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢١٥٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب صفة البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة

ومن الطريف هنا أن سائلاً سأل الشيخ قائلاً : يقول الحق تبارك وتعالى -:" يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ" الأرض التي نعيش عليها ..أين تذهب ؟ ، فأجاب الشيخ السائل بقوله : أمتزوج أنت ؟ قال : نعم . قال : عندك أولاد ؟ ، قال :عندي ثلاثة ، - ثم سأله الشيخ - أين كانوا قبل ذلك ؟ ، قال الرجل : كانوا في علم الله ، قال الشيخ : كذلك هذه الأرض تكون في علم الله ([1]) .

وهذا هو الحق ، فنؤمن بأن الأرض تبدل كما جاء في كتاب الله – عز وجل - ، ونترك ما وراء ذلك للعليم الخبير –سبحانه وتعالى - أما التعمق في الأمور التي لم يرد فيها نص فهو من التنطع ، وقد قال – عليه الصلاة والسلام – "هلك المتنطعون"([2]) .

وإذا كان الشيخ يرى أن الناس يحشرون بأجسادهم وأرواحهم ، فهل الحشر للمكلفين فقط أم أن غير المكلفين يحشرون ؟ .

يرى الشيخ كما يرى المحققون من أهل السنة([3]) أن الحشر للمكلفين من الإنس والجن ، وأنه أيضًا لغير المكلفين من الطيور والبهائم والوحوش ، ويظهر ذلك من قوله :

" قال "القرطبي" عند تفسير قوله – تعالى - " وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ"([4])، الغبرة في كلام العرب : الغبار ، وفي الخبر أن البهائم إذا صارت

([1]) درس الجمعة ج٥ ص ٣٧ .

([2]) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢٠٥٥ كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون .

([3]) راجع تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٦ .

([4]) سورة عبس الآية : ٤٠ .

ترابًا يوم القيامة حول ذلك التراب إلى وجوه الكفار ، - ثم يقول الشيخ – عن ابن عمر : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدَّ الأديم – الجلد – وحشر الدواب والبهائم والوحوش ، ثم يوضع القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجمَّاء – التي لا قرون لها – من الشاة القرناء بنطحتها ، فإذا أفرغ من القصاص بينها قيل لها : كوني ترابًا ، فعند ذلك يقول الكافر:" يا ليتني كنت ترابًا"([1]) .

وحشر البهائم مؤيد بنصوص القرآن الكريم والحديث النبوي ، يقول تعالى :" وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ"([2]) ، وقال – عليه الصلاة والسلام –:"لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"([3]) .

يقول الإمام "النووي" – رحمه الله – في شرحه للحديث السابق على صحيح مسلم: فـ"هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين ، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة ، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله – تعالى – "وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ" ، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره "([4])

هذا ولا يخفى على باحث في أمور السمعيات أن أحوال وأهوال اليوم

([1]) درس الجمعة ج ٢ ص ١٠٧ – ١٠٨ .

([2]) سورة التكوير الآية : ٥ .

([3]) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٩٩٧ كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم .

([4]) مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٣٦ .

الآخر متعددة ، فبعد الحشر إلى الأرض المبدلة تكون الشفاعة العظمى لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لفصل القضاء ، أي القضاء والفصل بين العباد ، وذلك يكون قبل الحساب عندما يشتد الكرب بالناس من هول الموقف ، وتدنوا الشمس من الخلائق ، ويقفون موقفًا طويلاً لا يسئل فيهم ، ويتمنى الناس من الهول والفزع الانصراف ولو إلى النار ، فيحتاج الناس إلى شفيع لإنهاء الموقف ، فيُشَفِّع الله – تعالى – فيهم نبيه – صلى الله عليه وسلم .

المبحث الرابع
الشفاعة العظمى في عقيدة الجعفري

قبل الحديث عن رأيه في الشفاعة العظمى ، يجدر بنا أن نذكر تعريفًا للشفاعة ، حتى يتضح المعنى ، ويظهر ذلك في التالي :

تعريف الشفاعة :

يقول شارح الجوهرة :" والشفاعة لغة : الوسيلة والطلب ، وعرفًا : سؤال الخير من الغير للغير([1]) .

أما عن الشفاعة العظمى عند الجعفري فهو يرى كأهل السنة ، أنها تكون لفصل القضاء يوم الفزع الأكبر ، والهول العظيم ، وأنها لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – خاصة دون إخوانه من النبيين والمرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – ، وفي هذا المعنى يقول الشيخ : " الرسول – صلى الله عليه وسلم – له شفاعة عامة ، وهي شفاعة فصل القضاء ، يوم أن يقول بعد أن يعتذر الأنبياء والمرسلون :"أنا لها .. أنا لها"([2]) .

فقول الشيخ في النص السابق : "له شفاعة عامة" يعني أنها ليست لأمته المحمدية وحدها ، بل هي عامة تشملهم وجميع الأمم ، وأنها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم خاصة .

يقول "ابن عرفة الدسوقي" – رحمه الله –:" وشفاعته – صلى الله

([1]) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٦١ .

([2]) درس الجمعة ج٦ ص ٢١ .

عليه وسلم - في فصل القضاء ، وهي أعظم شفاعاته - صلى الله عليه وسلم - الخمس ، هذه الشفاعة مختصة به لا يشاركه فيها غيره "([1]) .

كما ذكر الشيخ الشفاعة العظمى الخاصة بسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم - في كثير من قصائده بديوانه العامر منها :

وشفيعنا يوم المصير يحمي الأحبة من سقر

جاه له جاه مبين في موقف للواقفين

جاءوا إليه مسلمين قالوا له قولاً ظهر

اشفع لنا يا شافع ما ثم غيرك شافع

ربي لذكرك رافع فسواك عنها قد اعتذر

قال الحبيب أنا لها يا مسلمين أنا لها

ما ثَمَّ غيري نالها بشفاعتي يقضى الوطر

سجد النبي لربه يثني عليه يلبه

نادى عليه بقربه اشفع تشفع فازدهر

قبلت شفاعة أحمد رفع الثنا بمحامد

أكرم به من حامد حمد الكريم له شكر

إن كان شفعه الكريم في موقف الحشر العظيم

من باب أولى يا سليم اليوم يقبل في الوطر([2]) .

وهذه الأبيات - وغيرها الكثير([3]) - تبين أمر هذه الشفاعة التي

([1]) حاشية الدسوقي على أم البراهين ص ٢٥٦ .

([2]) ديوان الجعفري ج٩ ص ١٧١ - ١٧٢ .

([3]) راجع مثلاً من الديوان ج٢ ص ٢٩٤ وص ٣٢٣ .

يعتذر عنها جميع الأنبياء – عليهم السلام – ويطلبها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ربه – تعالى – عندما يأتون إليه راجين لها ، فيسجد – عليه الصلاة والسلام – تحت العرش ، ويحمد ربه – تعالى – ويثني عليه بمحامد يلهمها – عليه الصلاة والسلام – فيقبل الله – تعالى – شفاعته ويجيء كما يليق بجلاله وكماله ليقضي بين العباد ، وهذه هي الوسيلة والمقام المحمود لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما جاء ذكر ذلك في حديث الصور .

يقول شارح الطحاوية : " والعجب كل العجب، من إيراد الأئمة لهذا الحديث – يقصد حديث الشفاعة مجردًا عن ذكر الشفاعة العظمى – من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في مأتى الرب – سبحانه وتعالى – لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور، فإنه المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم،... وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور، ولولا خوف الإطالة لسقته بطوله، لكن من مضمونه: «أنهم يأتون آدم ثم نوحا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم يأتون رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له: الفحص، فيقول الله: ما شأنك؟ وهو أعلم، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني، في خلقك، فاقض بينهم، فيقول – سبحانه وتعالى –: شفعتك، أنا آتيكم فأقضي بينهم، قال: فأرجع فأقف مع الناس، ثم ذكر انشقاق السماوات، وتنزل الملائكة في الغمام، ثم يجيء الرب – سبحانه وتعالى – لفصل

القضاء، والكروبيون والملائكة المقربون يسبحون بأنواع التسبيح، قال: فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يقول: إني أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع أقوالكم، وأرى أعمالكم، فانصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه "([1]) .

أما عن شروط الشفاعة فتظهر من قول الشيخ في نظمه :

ويشفع للخلائق يوم كرب ويسجد للدعاء وقد أذنتا([2]) .

فيفهم منه أن الشفاعة لا تقع إلا بإذن من الله – تعالى – ورضىً ، كما قال – سبحانه : "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ"([3]) ، وقال عز من قائل :" وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماواتِ لا تُغْنِي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضى"([4])

وهناك الشفاعة في أهل الكبائر وهي التي استدل عليها الشيخ بقوله – عليه الصلاة والسلام –: "لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا"([5]) .

([1]) شرح الطحاوية ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

([2]) ديوان الجعفري ج ٩ ص ٣٥ .

([3]) سورة البقرة من الآية : ٢٥٥ .

([4]) سورة النجم الآية : ٢٦ .

([5]) درس الجمعة ج ٦ ص ٢٢ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨ ص ٦٧ كتاب الدعوات ، باب لكل نبي دعوة مستجابة .

وهذا النوع من الشفاعة يكون لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وغيره من الشافعين ، كالأنبياء ، والملائكة ، والعلماء ، والشهداء ، والأفراط ، ولكن بإذن الله – تعالى – ورضاه .

ومن أحوال القيامة كذلك ما يكون من العَرْض وأخذ الصحائف ، وفي ذلك يقول العلامة السباعي – رحمه الله تعالى –:"والحشر القيام لرب العالمين ، ثم بعده العرض ، ثم تتنزل الملائكة وتصطف بهم وتدنو منهم الشمس ، ثم تتطاير الصحف ، ثم أخذها بالأيمان والشمائل "([1]) .

وأخذ العباد لصحائف أعمالهم من العقائد المقررة عند أهل السنة والجماعة ، ومن ثم كان لها النصيب الأوفر عند الشيخ الجعفري .

([1]) حاشية السباعي على الخريدة ص ١٣٦ .

المبحث الخامس :
أخذ الصحائف يوم القيامة في عقيدة الشيخ الجعفري

يقصد بالصحائف هنا : صحائف أعمال العباد التي سَطَّر الملائكة فيها أعمالهم ودونوها عليهم ، وهذه الصحائف تنشر وتعرض على البشر ؛ ليعلم كل إنسان عمله الذي عمله في الدنيا ، يستوي في ذلك من كان يقرأ ويكتب في الدنيا ومن ليس كذلك ، وقد أجمع أهل الحق على وقوع ذلك يوم القيامة ، وعليه فمن الطبيعي أن يكون الشيخ وهو أحد رجال أهل السنة في العصر الحديث – مقررًا لهذه العقيدة السنية ، ويظهر ذلك من قوله في إحدى قصائده التي ضمنها أمور القيامة :

ولك الحمد إذا ما نشرت   صحف الأعمال كل عرفا(1) .

كما تظهر هذه العقيدة السنية من قوله في كيفية أخذ العباد الصحائف وحالهم عند أخذها :" ومن حكمة الله – تعالى – قوله " وَكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ"(2) ، أي كتابه " وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً"(3) .

قال العلماء : إن الكتب في خزانة تحت العرش فتأتي ريح تطير الكتب من الخزانة ، فيتعلق كل كتاب بعنق صاحبه ، مسلمًا كان أو كافرًا ، إنسًا أو جنًا ، لا يمد يده إليه ، ثم تأتي الملائكة صفوفًا ، وتخرج الكتاب من

---

(1) ديوان الجعفري ج١٠ ص ١٨٧ .

(2) سورة الإسراء من الآية : ١٣ .

(3) سورة الإسراء الآية : ١٣- ١٤ .

رقبة المؤمن وتعطيه له في يمينه ، والكافر يخرق صدره ويدخل يده الشمال في صدره حتى تخرج من وراء ظهره ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ، ومعنى منشورًا أي ظاهرًا لكل من يقرؤه ، وربنا يعلم الجميع القراءة والكتابة حتى لو كان أخرس أو أصم أو أعمى "(١)

كما يقول مبينًا أيضًا حال أهل السعادة والشقاوة عند أخذ الكتاب ومعاينة ما فيه :" الكافر حينما يأخذ كتابه بشماله يقول : " يا ليتها كانت القاضية " وكذلك كل من يأخذ كتابه بشماله ينوح ويضرب وجهه بيده فيقول الله لملائكة العذاب " خُذُوهُ فَغُلُّوهُ " أي بالسلاسل " ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ" ، أما المؤمن فيأخذ كتابه بيمينه "فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ" أي : تعالوا خذوا كتابي وانظروا لتعرفوا أني من أهل الجنة "إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ" أي في الدنيا ، والظن هنا بمعنى اليقين "(٢) .

فهذه النصوص السابقة لشيخنا تؤكد أن أخذ الصحائف في الآخرة حق ثابت بنصوص القرآن الكريم ، وأنه لجميع المكلفين من الإنس والجن، وأن أهل التكليف متفاوتون في أخذ الصحائف ، وأن هناك روايتين في أخذها ، الأولى : أن ريحًا تطيرها من خزانة تحت العرش ، فتتعلق كل صحيفة برقبة صاحبها ، لقوله تعالى :"وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ"، والثانية : ترى أن كل واحد من الناس يأخذ كتابه إما بيمينه إن كان من أهل السعادة ، وإما

---

(١) درس الجمعة ج١ ص ٩٩ وج٤ ص ١٨ .

(٢) درس الجمعة ج١ ص ٩٨ – ٩٩ .

بشماله إن كان من أهل الشقاوة ، لقوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ * قُطُوفُها دانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسابِيَهْ"([1]) .

ولقد جمع الشيخ كغيره من أهل السنة الأشاعرة بين الروايتين أو الرأيين المؤيَدَين بنصوص القرآن الكريم ، بأن كلاً منهما يحصل ، فالريح تطيرها أولاً من الخزانة الكائنة تحت العرش ، ثم تناديهم الملائكة ثانية وتأخذ الكتب من أعناقهم وتسلمها لهم بالأَيمان أو الشمائل حسب الإيمان والكفر ، وهو ما أشار إليه الشيخ بقوله بعد نصه على تطاير الصحائف من خزانة تحت العرش : "... لا يمد يده إليه ، ثم تأتي الملائكة صفوفًا ، وتخرج الكتاب من رقبة المؤمن وتعطيه له في يمينه... إلخ" وهو قول الكثير من أهل السنة ([2]).

كما يرى كذلك أن سيدنا عمر الفاروق – رضي الله عنه – هو أول من يأخذ كتابه بيمينه ، فاللهم اجعلنا من أهل اليمين ، وأن سيدنا أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – أول من يدخل الجنة بغير حساب ([3]) ، وهذا يؤكد عقيدته السنية – رضي الله عنه – في الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما وسائر الصحابة – وأقواله – رضي الله عنه – أكثر من أن تحصى

([1]) سورة الحاقة الآيات : ١٩ – ٢٦ .

([2]) راجع شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٤١ .

([3]) درس الجمعة ج١ ص ٩٩ .

في حب الصحابة – رضي الله عنهم – وتوقيرهم ، ومعرفة حقهم وفضلهم ، سواء في كتبه ، أو قصائده المنظومة شعرًا من ديوانه([1]).

والخلاصة أن نشر الصحائف وأخذ العباد لها يوم القيامة من الأمور الثابتة في ديننا ، فيجب على كل مسلم أن يؤمن ويسلم بها ؛ لأن إنكارها كفر وخروج من الملة ، يقول الإمام اللقاني – رضي الله عنه – :

وواجب أخذ العباد الصحفا كما من القرآن نصًا عرفا([2]) .

وبعد أخذ المكلفين صحائف أعمالهم يحاسبهم الله – تعالى – على أعمالهم ، والحساب على الأعمال في الآخرة ثابت ومقرر عند أهل السنة والجماعة ، ومنهم الشيخ الجعفري .

([1]) راجع مجلة الطريقة الجعفرية في عددها السابع والعشرين لسنة ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ مقالاً بعنوان : من علامة المنهج السني عند الشيخ صالح الجعفري – رضي الله عنه – حب الشيخين أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – .

([2]) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٣٩ – ٣٤١ .

المبحث السادس

الحساب على الأعمال في عقيدة الجعفري

لم تختلف عقيدة الحساب على الأعمال عنده عن غيرها من العقائد الغيبية في إثباتها ، وإجرائها على معناها الحقيقي الموضوع لها في لغة العرب ؛ وذلك لأن أهل الحق لا يخرجونها عن ذلك ، وهو واحد منهم ، وإليكم نماذج من أقوال أهل السنة في الحساب يوم القيامة ، ثم نعقبها بأقواله .

يقول الإمام "الطحاوي" :"ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان"([1])

ويقول الإمام اللقاني :

".... والحساب حق .... وما في حق ارتياب"([2]) .

يعني أنه ثابت بالأدلة القطعية ، ومن هنا ندرك أن هناك حسابًا في الآخرة أعده الله – تعالى – ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى . تعريف الحساب ودليله :

يرى المحققون من أهل السنة أن الحساب اصطلاحًا هو: توقيف الله – تعالى – عباده قبل الانصراف من المحشر ، –يعني – أن الله – تعالى– يكلم عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب"([3]) .

([1]) شرح الطحاوية ص ٤٠١ .

([2]) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٨ .

([3]) حاشية السباعي على الخريدة ص ١٣١باختصار ، وينظر شرح البيجوري على الجوهرة ٣٣١ .

أما عن دليله فهو من أظهر ما يكون لوروده في غير موضع من كتاب الله – عز وجل – وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، أما من القرآن: وهو كثير ، فمنه قوله – تعالى – :" احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَما كانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّـهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ"([1]) ، وقوله – تعالى – :" وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ"([2]) .

وأما من السنة فمنها ما رواه البخاري في صحيحه، عن عائشة، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله – تعالى – : "فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا" فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب "([3]) ، يعني أنه لو ناقش في حسابه عبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه – تعالى – يعفو ويصفح "([4]) .

لأجل ذلك كله يجب شرعًا على كل مسلم أن يؤمن بهذه الأمور السمعية ، ودليل وجوب الإيمان بها "أنها أمور ممكنة عقلاً ، أخبرنا بها الصادق على ما نطقت به النصوص ، وكل ما هو كذلك فهو حق يجب شرعًا قبوله ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وجمهور المعتزلة ، ولا يحتاج

([1]) سورة الصافات الآيات : ٢٢ – ٢٤ .

([2]) سورة البقرة من الآية : ٢٠٢ .

([3]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨ ص ١١٢ كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب .

([4]) شرح الطحاوية ص ٤١٢ .

الإيمان بما ذكر إلى كيفية الحقيقة ، فإن العقول تعجز عن مثل ذلك ، وهو مما نقله الأئمة متواترًا ، فمن أنكر شيئًا من السمعيات فهو كافر ؛ إذ يلزمه تكذيب الله ورسوله في خبريهما ، وكذلك كل ما علم من الدين بالضرورة "(1) .

فيجب التسليم بكل ما جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أمور اليوم الآخر ؛ لأنها أمور فوق العقل ولا يستقل العقل بإدراكها ولا تقاس على أمور الدنيا بحال من الأحوال ، ولذا فإن الذين يُعْمِلون عقولهم في كيفية الحساب في الآخرة ، لا فَهْم لهم ، فلربما قال أحدهم بعقله : كيف يحاسب الله الخلق مع كثرتهم ؟ ، فيقال له : إن أمور الآخرة يصعب على العقل أن يدركها ، ولا يمكن أبدًا أن تقاس على أمور الدنيا .

وقد أجاب الشيخ عن مثل هذه الأسئلة بالإجابة الربانية لسيدنا الإمام علي – رضي الله عنه – فقال :

" يحاسبهم في لحظة واحدة مع كثرتهم ، كما كان يرزقهم – في الدنيا – في لحظة واحدة مع كثرتهم ، أنت لا ترى الدنيا ؟ من الذي يرزقهم في الدنيا ؟ الله ، فكما رزقهم في الدنيا يحاسبهم يوم القيامة ، مُلك واسع ، وعلم واسع ، وأمر عجيب ، وشيء غريب "(2) .

فسبحان من اتصف بالجلال والكمال ، وتفرد بالقدرة والعظمة ، ولا أدلَّ على قدرته وعظمته من إنطاق الجوارح وجعلها شاهدة على العبد إذا

---

(1) حاشية السباعي على الخريدة ص ١٣٦ .
(2) درس الجمعة ج ٣ ص ١٣١ .

أنكر شيئًا مما كتب عليه في صحائفه يوم القيامة ، وفي هذا المعنى يقول الشيخ :

"يوم القيامة تتكلم الأيدي وتشهد الجلود ؛ لأنها كانت في الدنيا تعرف أعمال الإنسان كما تعرف الله – تعالى – حق المعرفة ، وحين يحاول العبد إنكار ما دون في كتابه عند عرضه أمامه يوم القيامة ، تشهد عليه يده فتقول : قد سرقت بي في يوم كذا وساعة كذا ، وشهادتها هذه ليست بشهادة زور ، ولا شهادة غائب ، ولكنها شهادة حاضر يسمع ويعرف ويعقل عند الله – تعالى – ، فالجمادات جمادات بالنسبة لنا ، ولكنها سامعة ، ناطقة ، عابدة ، مسلمة ، بالنسبة لله – تعالى –"([1]) .

وعقيدة الشيخ في شهادة الجوارح يوم القيامة ثابتة بكلام رب البرية – جل جلاله – ؛ إذ يقول سبحانه : "وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذا مَا جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ * وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ"([2]).

فالله – تعالى – هو الخالق الموجد للإنسان وجوارحه بقدرته ، وهي ليست ملكًا للإنسان وإنما هي ملكٌ لخالقها – سبحانه – فإذا أمرها الله أن

([1]) درس الجمعة ج٢ ١١١ .

([2]) سورة فصلت الآيات : ١٩ – ٢٣ .

تنطق شاهدة بما كان من صاحبها في الدنيا وعما اقترف من أعمال ، فإنها ولا شك تستجيب لأمر ربها وفاطرها ؛ لأن ذلك من مظاهر ربوبيته ، ودلائل ألوهيته ، فيسعد من سعد ، ويشقى من شقي .

ولما كان الناس فريقين ، فريق السعادة الذين آمنوا بكل ما يجب الإيمان به دون إحداث بتزيد أو تنقيص في الدين ، وفريق الشقاوة المكذب والمُحْدِث في دين الله – تعالى – فإن الله الحكيم الكريم جعل للسعداء المتبعين جزاءً خصهم به يوم العطش الأكبر ، وهو سقياهم شرابًا طهورًا من حوض رسوله – صلى الله عليه وسلم – الذي أكرمه الله – تعالى – به غياثًا للصادقين من أمته ، وتوضيح ذلك في التالي

المبحث السابع
الحوض في عقيدة الجعفري

يعتقد الشيخ أن لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – حوضًا في الآخرة ، يشرب منه المؤمنون المتبعون شربة لا ظمأ بعدها أبدًا بإذن الله – تعالى – وهذه العقيدة قد استفاضت الأحاديث النبوية بها – على ما سيأتي إن شاء الله – تعالى – ، وقد عَبَّر عن هذه العقيدة نثرًا وشعرًا ، فمن الشعر ما جاء في ديوانه من قوله مناجيًا ربه – تعالى – :

أَمِتْنَا عَلَىَ الإِيمَانِ وَالدِّينِ وَالتُّقَىَ   نَكُونُ عَلَىَ حَوْضٍ إِذَا حَصَلَ الحَشْرُ(1)

ومنه قوله في سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

يَا صَاحِبَ الكَوثَرِ المَأْمُولِ شِرْبَتُهُ   تَرْوِي العِطَاشَ فَكُلٌّ حَقَقَ الأَمَلاَ(2) .

فلقد أكرم الله – تعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – في الآخرة بإعطائه الحوض العظيم ، وهو : "جسم مخصوص يصب فيه ميزابان من ماء الكوثر"(3) ، وقد استفاضت الأحاديث في ذكره – كما سبقت الإشارة – عن سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

وفي هذا المعنى يقول شارح الطحاوية :"الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين بن كثير– تغمده الله برحمته– في

---

(1) الديوان ج ١٠ ص ٦٧ .

(2) الديوان ج ١١ ص ٥٣ .

(3) شرح سيدي أحمد الدردير على الخريدة ص ١٤٣ .

آخر تاريخه الكبير، المسمى بـ"البداية والنهاية". فمنها: ما رواه البخاري – رحمه الله تعالى– عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء"([1]) .

ولذا فإن أهل السنة يوجبون على كل مسلم أن يؤمن بأن لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الآخرة حوضًا للمحسنين المتبعين لشريعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، يقول الإمام اللقاني :

إيماننا بحوض خير الرسل حتم   كما قد جاءنا في النقل
ينال شربًا منه أقوام وَفَوا *بعهدهم   وقلْ يذاد من طغوا([2]) .

وعقيدة الشيخ لا تخرج عن هذا المعنى ، ويظهر ذلك من قوله إضافة إلى ما سبق من نظمه :" المؤمنون يقومون يوم القيامة عطشى ، فيسقون من الحوض المورود من اليد المحمدية ، ولعل سائلاً يسأل : كيف يسقي – صلى الله عليه وسلم – العالم وهو واحد؟ .

فاضرب لهم مثلاً "الشمس" هي واحدة وأشعتها تصل إلى العالم كله .. ، شريف من اليمن يخاطب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –

وشفيع الناس في أوزارهم   عظمت أوزارنا فاشفع لنا
صاحب السجد يقول أنا لها   أيها الساقي من الحوض اسقنا([3]) .

فيفهم من قول الشيخ أن الشراب من الحوض في الآخرة إنما يكون

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨ ص ١١٩ كتاب الرقاق ، باب في الحوض بلفظه .
([2]) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٥٦ وما بعدها .
([3]) درس الجمعة ج٨ ص ٨٣ .

للمؤمنين المتبعين لا المبتدعين ؛ فأهل التغيير في ثوابت الدين –والكفار من باب أولى – يُطردون عن الحوض كما يَطْرُدُ أحدُنا الإبلَ الغريبة عن حوضه ، فلا يشرب من يد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا من اتبع سنته ولم يخرج عنها بقول ، أو فعل ، أو اعتقاد ، وهو ما دعا به الشيخ ربَّه في نظمه من البيت السابق عند ذكر الحوض : "أمتنا على الإيمان والدين والتقى " ، يعني بعيدًا عن الفتنة والافتتان ، فتوفنا ربنا بإحسان لا ضالين ولا مضلين ، ولا فاتنين ولا مفتونين .

وأن الشراب من الحوض في العرصات بعد القيام لرب العالمين إنما يكون لدفع العطش ؛ لأن من شرب منه لا يظمأ بعده أبدًا ، وأما الشراب في الجنة فإنما يكون للتلذذ لا لدفع العطش ، ويتأكد هذا الفهم لكلام شيخنا بقول الشيخ الدردير – رضي الله عنه – عن الحوض :

" ... من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا ، ويكون الشرب في الجنة إنما هو على سبيل التلذذ لا العطش ، ويطرد عنه من بدَّل وغيَّر إمَّا بالارتداد ، وإمَّا أن يحدث في الدين ما ليس منه ، كأهل البدع على اختلاف أنواعهم ، وكأهل الكبائر المعلنين بها ، وكالظلمة الجائرين في أحكامهم ، إلا أن المرتد مخلد في النار"(1) .

وتتأكد هذه العقيدة السُنية في الحوض بما جاء عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي –رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(1) شرح سيدي أحمد الدردير على خريدته ص ١٤٣ .

قال :" إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم"(١) .

كما يفهم من قول الشيخ : "المؤمنون يقومون يوم القيامة عطشى فيسقون من الحوض ...إلخ " ، أن الحوض إنما يكون في عرصات القيامة قبل الميزان والصراط ، وهذا المعنى يتناسب مع حال الناس من العطش والحر ، فيكرم الله – تعالى – المؤمنين بالشراب من الحوض العظيم الذي ماؤه أبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأبيض من اللبن ، شربة لا ظمأ بعدها أبدًا .

يقول الإمام "القرطبي" :" واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر ؟ فقيل : الميزان قبل ، وقيل : الحوض . قال "أبو الحسن القابسي" : والصحيح أن الحوض قبل ، قلت : والمعنى يقتضيه ، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم ، فيقدم قبل الصراط والميزان ، والله أعلم"(٢).

وبعد ذكر العقيدة السنية للشيخ في حوض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الآخرة يتبادر إلى الذهن – ربما – السؤال عن صفة الحوض المورود في الآخرة ، وفيها يقول شارح الطحاوية :

" والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨ ص ١٢٠ ، كتاب الرقاق باب في الحوض بلفظه.
(٢) التذكرة ص ٢٩٧ .

وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في حال من المسك والرضراض من اللؤلؤ قضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء. وقد ورد في أحاديث: "إن لكل نبي حوضا، وإن حوض نبينا صلى الله عليه وسلم أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا". جعلنا الله منهم بفضله وكرمه"([1]).

فالخلاصة لكل ما سبق : أن الحوض في الآخرة ثابت بالأحاديث الصحيحة ، وأن لكل نبيٍ حوضًا إلا أن حوض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أكثرها واردًا ، وأن من غَيَّر شيئًا من ثوابت الدين ، أو أنكر ثبوت الحوض أصلاً – كالمعتزلة ومن تبعهم – فإنه يحرم من الشراب منه في الآخرة ، وأن اعتقاد الجعفري في إثبات الحوض وما يخصه من مسائل مؤيد بموافقته لعقيدة السلف الصالح نفعنا الله – تعالى – بهم .

ومما لا شك فيه أن حكمة الله الحكيم – سبحانه – اقتضت إقامة الحجة على الناس في الآخرة إظهارًا لعدله – تعالى – وما قراءة الصحف وشهادة الجوارح عنا ببعيد ، ومن جملة ما يقيم الله – تعالى – به الحجة على عباده ، ويظهر به عدله يوم القيامة ، الوزن والميزان ، مع اعتقاد أنه – تعالى – عليم بتفاصيل الأمور ودقائقها، أي ليس بحاجة للوزن وغيره في إظهار مقادير أعمال العباد ، لكنه يقع لإظهار عدله ، وإقامة للحجة على

([1]) شرح الطحاوية ص ٢٠١ .

العباد ، يقول الإمام القرطبي : "وإنما توزن أعمال المؤمن المتقي لإظهار فضله كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله ، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه عن كل خير ، فكذلك توزن أعمال المتقي تحسبا وإشارة لخلوه من كل شر وتزينا لأمره على رؤوس الأشهاد[1] .

(1) التذكرة ج٢ ص٣١٣ ٠

المبحث الثامن
الوزن والميزان وأدلتهما في عقيدة الجعفري

عقيدة الشيخ في الوزن والميزان هي عقيدة أهل السنة كما هو شأنه في اعتقاداته الطيبة السُنيِّة ، فيعتقد أهل السنة أن في الآخرة وزنًا وميزانًا للأعمال ، ليس لأن الله – تعالى – في حاجة إليهما في تقدير خفة أعمال الناس أو ثقلها – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – ؛ بل لأنه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة ، والميزان في الآخرة حق ثابت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال أهل السنة ، فيجب الإيمان بهما حتمًا ، فمن القرآن الكريم قوله – تعالى –: "وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ"[١] ، وقوله – عز وجل –:"وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ "[٢] ، وقوله جل شأنه : "فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ"[٣] .

ومن السنة النبوية : ما جاء عن أبى الدرداء – رضى الله عنه – " ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق "[٤] ومنها قوله ﷺ : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٤٧ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية : ٤٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآيتان : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه باب حسن الخلق ج٢ ص٦٠٤ وأخرجه الترمذي بلفظ يوضع في الميزان باب ما جاء في حسن الخلق ج٤ ص٣٦٣ .

الله وبحمده سبحان الله العظيم"[١] .

وأما أقوال أهل السنة في الوزن والميزان فهي أكثر من أن تحصى منها : قول الإمام " ابن تيمية " – رحمه الله – وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد : " فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون[٢] .

ويقول شارح المقاصد بعد ذكر الآيات القرآنية المثبتة له :" ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان ، عملاً بالحقيقة لإمكانها ، وقد ورد في الحديث تفسيره بذلك "([٣]) . ويقول الإمام اللقاني – رضي الله عنه –:

واجب أخذ العباد الصحفا   كما من القرآن نصًا عرفا
ومثل هذا الوزن والميزان   فتوزن الكتب أو الأعيان

قال شارح الجوهرة :"أي ومثل أخذ العباد الصحف في الوجوب السمعي ، وزن أفعال العابد والميزان ، وهو ميزان واحد على الراجح له قصبة وعمود وكفتان كل واحدة منهما أوسع من طباق السموات والأرض"([٤]) .

من هنا لم تخرج أقوال الشيخ في الوزن والميزان عن أقوال أهل السنة

([١]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ج٨ ص١٠٧ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ج٢ ص٤٧٢ وأخرجه الترمذي في سننه ج٥ ص٥١٢ .

([٢]) مجموع الفتاوى ٣ ص ١٤٥ – ١٤٦ .

([٣]) شرح المقاصد ج ٥ ص ١٢٠ .

([٤]) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٤٢ – ٣٤٥ .

ويظهر ذلك من قوله في ديوانه :

فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا حَصَلا   يَا إِلهًا بِنَعِيمٍ أَتْحَفَا
ولَكَ الحَمدُ لَدَى موتِي إذا   حَضَرَ الأَمْلاكُ في يَومِ الوَفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إذَا مَا رَجَعَتْ   هَذِه الرُّوُحُ بِيَومٍ أَزِفَا
وَلَكَ الحَمْدُ إذَا مَا وزنت   هذه الأعمال وزنًا أنصفا[1]

وقوله :

شهودك يا ربي أعز من الخلد   رجائي بأن يبقى إلى ضجعة اللحد
إلي البعث والميزان والحشر واللقا   أسير به فوق الصراط فيا سعدي[2]

فهذه الأبيات وغيرها الكثير تثبت أن الشيخ يقول بالوزن والميزان على الحقيقة كأهل السنة ، وأن الموزون هو الأعمال[3] ، خلافًا للمعتزلة الذين يرون أن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها ، فضلاً عن ذهابها وتلاشيها

---

[1] ديوان الإمام الجعفري ج١٠ ص ١٨٩ .

[2] الديوان ج٩ ص ١٦٥ .

[3] وقيل : إن الموزون هو صحائف الأعمال نفسها واستدل عليه بحديث البطاقة ، وقد جاء في هذا الحديث :"فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة" ، ينظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج٧ ص١٦٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠
وقيل إن الموزون هو العامل ، أي الشخص الذي عمل العمل واستدل عليه بما روى أن ابن مسعود – رضى الله عنه – صعد شجرة وكان ضعيف الساقين فتبسم أصحاب رسول الله ﷺ فقال عليه السلام : أتعجبون من دقة ساقيه وإنهما لأثقل في الميزان من السماوات والأرض ، فثبت أن العبد يوزن مع عمله. راجع بحر الكلام في علم التوحيد لأبى المعين النسفي ص ٨١ ، والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٤٢٠ ، ٤٢١ ٠

، فهو عندهم كناية عن عدل الله – تعالى – الكائن في كل شيء ، فالشيخ بقوله في النظم " ... إذا ما وزنت * هذه الأعمال وزنًا أنصفا " أثبت الوزن للأعمال مع العدل والإنصاف ؛ لأن الله – تعالى – هو العدل المنزه عن الظلم .

ويؤكد وزن الأعمال الذي قصده الشيخ في نظمه قوله – صلى الله عليه وسلم :" ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق "[1] وقوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم "[2] .

فإذا كانت الأعمال أعراضًا فإنها تتجسد وهو أمر ممكن وثابت ، فالأعمال الحسنة الصالحة تصور بالصور النورانية والأعمال القبيحة تصور بصورة سيئة مظلمة[3] ، وممن ذهب إلى ذلك سيدنا عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – حيث ذهب إلى أن أعمال المؤمن يؤتى بها في صورة حسنة ، وأعمال الكافر يؤتى بها بصورة قبيحة[4] .

وقد سئل الشيخ : ما الدليل على وزن الأعمال يوم القيامة فأجاب قائلاً : قال الله – تعالى –" فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُـهُ * فَهُوَ فِي عِيشَـةٍ راضِيَةٍ

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه باب حسن الخلق ج٢ ص٦٠٤ وأخرجه الترمذي بلفظ يوضع في الميزان باب ما جاء في حسن الخلق ج٤ ص٣٦٣ .

(2) سبق تخريجه .

(3) حاشية الأمير ص١٤١ .

(4) تفسير مفاتيح الغيب ج٦ ص٣٦٣ .

* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُـهُ * فَأُمُّـهُ هاوِيَـةٌ"([1]) ، وهو من الأمور الغيبيـة التـي يجب الإيمان بها "([2]).

وقول الشيخ :"وهو من الأمور الغيبيـة" يوجب الإيمان بـه – لثبوتـه شرعًا – مع تفويض ما فوق ذلك إلى العليم الخبير – سبحانه وتعالى – وهو الأولى .

ومن أمور القيامة الثابتة التي يجب الإيمان بها كذلك "الصراط" ، وقد أخذ ذكر الصراط في تراث الشيخ الجعفري – رحمه الله – نصيبه كغيره من العقائد ، وتوضيح ذلك فيما يلي :

([1]) سورة القارعة الآيات : ٦ – ٩ .

([2]) درس الجمعة ج٢ ص ٨٨ .

المبحث التاسع
الإيمان بالصراط عند الإمام الجعفري

من ثوابت الاعتقاد عند أهل السنة ، الإيمان بالصراط والمرور عليه، وهو : " جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون ، أدق من الشعرة وأحدّ من السيف ، على ما ورد في الحديث "[1] وهو ثابت بالأدلة ، وأدلة ثبوته كثيرة ولا ينكرها إلا من خلا الإيمان من قلبه ، واتبع هواه بغير هدى من الله ٠ فمن أدلته من القرآن الكريم قوله – تعالى – : "وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا"[2] .

ومما يدل على ثبوت الصراط من الحديث قوله ﷺ فيما جاء عن أبى سعيد الخدري – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ: يقول : يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناج مسلم ، ومخدوج به ، ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها "[3] .

فقوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث: "على حَسَك" بفتحتين قال السيوطي: حسكة وهي شوكة صلبة "والسعدان" نبت ينبت ذو شوكة "مسلَّم" بتشديد اللام المفتوحة، أي: محفوظ "ومخدوج به" أي: الذي قشر جلده به "ومحتبس" بفتح الباء "ومنكوس" أي مقلوب بأن صار رأسه أسفل"([4]) .

([1]) شرح المقاصد ج ٥ ص ١٢٠ ٠

([2]) سورة مريم من الآية : ٧١ ٠

([3]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص١١ ٠

([4]) حاشية السندي على ابن ماجه ج ٢ ص ٥٧٢ – ٥٧٣ ، ط / دار الجيل – بيروت بدون .

فالناس متفاوتون في المرور عليه عند أهل السنة ، وتفاوتهم بحسب الأعمال ، وأنه يضيق ويتسع أيضًا على الراجح – والله أعلم – بحسب الأعمال([1]) ، وقد أثبت الشيخ الصراط في نظمه بقوله :

وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا مَا نُشِرَتْ صُحُفُ الأَعْمَالِ كُلٌّ عَرَفَا

وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا مَا سَاقَنِي سَائِقٌ نَحْوَ صِرَاطٍ وُصِفَا

وقد بيَّن بطريقة واضحة سهلة قريبة إلى الأذهان أن المرور عليه لا يقتضي الولوج أو الدخول في النار ، وعليه فلا تعارض أبدًا بين قوله – تعالى – " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا"([2]) ،وقوله – تعالى– "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ"([3]) ، أو حتى قوله – صلى الله عليه وسلم – :"والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة "([4]) ، وقد جاء ذلك من الشيخ في معرض الإجابة عن معنى الآية السابقة من سورة "مريم " فقال :

" معنى الورود هنا : المرور فوقها لا الدخول فيها ، فقد قال – سبحانه – : "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ" فجهنم مثل النيل والصراط مثل الكوبري ، والله – سبحانه وتعالى – يقول " وَلَمَّا وَرَدَ

([1]) راجع شرح سيدي أحمد الدردير على خريدته ص ١٣٩ .

([2]) سورة مريم الآية : ٧١ .

([3]) سورة الأنبياء الآية : ١٠١ .

([4]) أخرجه أبو داود في سننه ج ٤ ص ٢١٣ كتاب السنة ، باب في الخلفاء بلفظ : لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة .

مَاءَ مَدْيَنَ"([1]) ، فسيدنا موسى – عليه السلام – لم يدخل البئر وإنما مرَّ عليها ، المؤمن حينما يصير على الصراط ، كأنه يسير على كوبري ، فالذي يسير على كوبري لا يبتل بالماء ، وهو قد مرَّ على الماء وحضر عنده ، وكذلك المؤمن يمر على الصراط فوق النار ولكن الله تعالى ينجيه منها "([2]) .

ويقول : " هناك آيتان :الأولى : " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ" والثانية : " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وارِدُها" قال العلماء لا تعارض بين الآيتين ، فجهنم كالبحر ، والصراط كالجسر الممدود ، فلا يسمعون صوتها وهم عنها مبعدون ، والورود ليس معناه الدخول ، ولكن معناه المرور بجوار الشيء ، قال – تعالى –: " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ" يعني مشى بجواره "([3]) .

وخلاصة ما سبق أن الصراط عنده على حقيقته وليس كناية عن الأدلة الواضحة ، أو الطريق إلى الجنة أو النار كما ذهبت المعتزلة ، وإنما هو بنفس وصفه عند أهل السنة ، كما قال في نظمه :"... إذا ما ساقني سائق نحو صراط وصفا " أي : بوصفه الذي وُصِف به في مذهب أهل السنة من أنه : جسر ممدود على ظهر جهنم ، أدق من الشعرة وأحد من السيف ، يرده الأولون والآخرون من كل الأمم ، وأن المرور عليه لا يقتضي الولوج أو الدخول في النار ، وأن الناس متفاوتون في المرور عليه، فمنهم من يمر

([1]) سورة القصص من الآية : ٢٣ .
([2]) درس الجمعة ج٨ ص ٣٠ – ٣١ .
([3]) المصدر السابق ج ١ ص ٩٧ .

عليه كلمح البصر ، ومنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر عليه كالريح المرسلة ، ومنهم من يمر عليه كالجواد ، ومنهم من يمر عليه ماشيًا ، ومنهم من يزحف زحفاً ، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم ، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم [1].

وبعد أن يمر المؤمنون ويعبرون الصراط يقفون أو يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، لرد المظالم والحقوق الدنيوية ، لقول رسول الله ﷺ : " يخلص المسلمون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا "[2].

فلا يدخل أحد من أهل الجنة الجنة ، حتى يتحقق قول الحق – سبحانه وتعالى – :" وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْواناً"([3]) ، وهم الذين وصفهم الشيخ في نظمه بأنهم "أهل الصفا" ، وهذا بدوره يجعل الحديث ينتقل بنا إلى الجنة والنار عند الجعفري ، ويظهر ذلك من التالي :

([1]) راجع رسالة الشيخ عليش في علم التوحيد ضمن فتح وفيض ص ٦٥ ، وشرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٤٩ ومجموع الفتاوى ج٣ ص١٤٦ ، ١٤٧، وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٣٢ ، وخير القلائد شرح جواهر العقائد لعثمان العرياني ص١٣٥ ، ١٣٦ ، ط/ محمد أسعد

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه ج٨ ص١٣٩ ، والإمام أحمد فى المسند ج٣ ص٦٣

([3]) سورة الحجر من الآية : ٤٧ .

المبحث العاشر
الجنة والنار في عقيدة الجعفري
(حقيقتهما ووجودهما الآن)

الجنة والنار في عقيدة الشيخ وسائر أهل السنة داران أعدهما الله – تعالى – للمؤمنين والعصاة والكافرين ، وهما مخلوقتان موجودتان الآن لا تفنيان ولا تبيدان ، والجنة جعلها الله – تعالى – دارًا لأهل التوحيد وطريق الخير ، والنار جعلها الله – تعالى – دارًا لعقوبة أهل الكفر والمعصية ، وفي هذا المعنى يقول :

سبيلان في الدنيا لدارين وصلا   فعالك للحسنى وفعل القبيحة
فإن سرت في الحسنى وصلت إلى الهنا   وإن سرت في الأخرى فدار العقوبة[1]

ويقول :

رب العطايا والنعم   رب الأنام له القم
في العدل أعدل من حكم   فالكافرون لهم سقر
للمؤمنين جنانه   ورضاؤه وحنانه
وزكاته ريحانه   في جنة الخلد المقر[2]

ويقول في معناهما وخلقهما ووجودهما الآن : "... فالنار هي دار العذاب مخلوقة الآن ، وفيها الزقوم والغسلين والمهل ، ومقامع الحديد ، ومن ألوان العذاب ما لا يخطر على بال أحد ، أما الجنة فهي دار الثواب والنعيم

([1]) ديوان الجعفري ج ١ ص ٩٥ .
([2]) ديوان الجعفري ج ١٠ ص ١٢ .

المقيم فيها الحور والولدان ولحم الطير والفواكه والأنهار الجارية من الماء واللبن والعسل والخمر أعدها لمن أحبهم من عباده "([1]) .

فقول الشيخ يثبت أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، وأن للنار ألوانًا من العذاب ، مثل الزقوم الذي جعله الله – تعالى – فتنة للكافرين في شجرته التي تنبت في أصل جهنم ، ومنه الغسلين الذي هو القيح والصديد الذي يسيل من أهل النار ، ومنه المهل المذاب الذي يشوي وجوههم بعد سقوط جلدها ، وكذلك المقامع الحديدية التي يضربون بها من خزنة النار فتثقب رؤوسهم .

ففي تفسير الطبري :" إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فيأكلون منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارًا مرّ بهم يعرفهم، يعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصبّ عليهم العطش، فيستغيثوا، فيُغاثوا بماء كالمهل ، وهو الذي قد انتهى حرّه، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود و (يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) يعني أمعاءهم، وتساقط جلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حاله، يدعون بالويل والثبور"([2]) .

كذلك يفهم من قول الشيخ أن في الجنة – وهي مخلوقة موجودة الآن – نعيمًا ، منه الحور العين ، والولدان ، وما تشتهيه الأنفس من اللحم ، والطير والأنهار الجارية ، وكل ذلك فيه رد على المعتزلة الذين ذهبوا إلى

([1]) درس الجمعة ج ٤ ص ٦٨ .

([2]) تفسير الطبري ج ١٨ ص ٥٩٣ .

أنهما – الجنة والنار – غير موجودتين الآن ، ولا يمكن أن يوجدا قبل يوم القيامة ، حتى لا يكونا معطلين فيؤدى إلى العبث ، فوجودهما قبل يوم الجزاء عبث يتنزه الحكيم عنه ، إلى جانب ذلك ذهب الجهمية إلى القول بأن الجنة والنار تفنيان ، ويفنى أهلهما[1] .

أدلة وجود الجنة والنار وخلودهما :

يقول الإمام اللقاني :

والنار حق أوجدت كالجنة فلا تمل لجاحد ذي جنة

دارا خلود للسعيد والشقي معذب منعم مهما بقي([2]) .

عرفنا مما سبق أن الشيخ على عقيدة أهل السنة في وجود الجنة والنار ، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن لا تفنيان ولا تبيدان ، مع ذكره صورًا وألونًا للنعيم في الجنة ، وأخرى للعذاب في النار ، مما نطق به الكتاب العزيز ، كقوله تعالى – في حق الجنة ، " أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"([3]) " أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ"([4]) ، " وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ"([5]) ، وفي حق النار :"أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ"([6]) "وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ"([1]) .

([1]) راجع الحواشي البهية على العقائد النسفية ص١٦٨ ، والفصل لابن حزم ج٤ ص١٤٥ .

([2]) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٣٥٢ وما بعدها .

([3]) سورة آل عمران من الآية : ١٣٣ .

([4]) سورة الحديد من الآية : ٢١ .

([5]) سورة الشعراء الآية : ٩٠ .

([6]) سورة البقرة من الآية : ٢٤ .

وقد ساق أدلة من القرآن الكريم سهلة وبسيطة بأسلوب جذاب على وجود النار وألوان عذابها وخلود الكفار فيها ، وهي لا شك تتضمن أدلة على وجود الجنة وخلودها وأهلها ؛ لأنهما مثلان فوجود النار وجود الجنة، وخلود النار خلود الجنة .

فقال : " جهنم لها سبعة أبواب ... وعلى كل باب من أبواب جهنم ملائكة بيدهم سلاسل وأصفاد كثيرة "وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ" أي : مربوطين بعضهم ببعض في سلاسل من حديد ، القيود : من حديد ، ألم تشاهدوا المسجون لما يحضرونه إلى المحكمة فيوضع في القفص ، والقفص من حديد ، وفي يديه قيود من حديد ؟ ويسأله القاضي عما اقترف ؟ فمالكم لا تخافون من المحكمة الكبرى يوم القيامة ؟ .

ثم يقول موقنا معبرا عن يقينه – (الله) . آمنا بالله ، آمنا بيوم القيامة ، لقد أخبرنا بما فيه من الوعد والوعيد وضرب لنا أمثلة مما نراه في الدنيا فقال : " أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ" : توقدون "أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُن" "نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً" أي للآخرة "وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ"([2]) ، أي للمسافرين يتقون بها من شدة البرد وينضجون بها طعامهم .

فالله – سبحانه وتعالى – يخاطب الإنسان أنا أخبرتك بأن هناك نارًا في الآخرة ، والدليل هذه النار التي بين يديك في الدنيا ، فمن الذي خلق نار الدنيا وخلق نار الآخرة "؟([3]) .

([1]) سورة الشعراء الآية : ٩١ ، راجع شرح المقاصد ج ٥ ص ١٠٧ .
([2]) الآيات السابقة من سورة الواقعة ٧١ – ٧٣ .
([3]) درس الجمعة ج ٣ ص ٧٨ .

وبعد هذه الدلائل الحسية بنار الدنيا للاستدلال على نار الآخرة الغيبية ، أشار إلى أن النار لا تفنى ولا يفنى أهلها ، - خلافًا لما يراه "الجهم بن صفوان" زعيم الجهمية - ، وإنما هي باقية بإبقاء الله – تعالى – لها كالجنة تمامًا ، فقال – رضي الله عنه – مستشهدًا بقوله – تعالى - " إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً * لِلطَّاغِينَ مَآباً"([1]) ، الطاغون قسمان : إما كفار ، وإما عصاة مؤمنون ، فالكفار يدخلون جهنم ويخلدون فيها ، والعصاة يمكثون في النار كل منهم على قدر معصيته .

" لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً" أي الكفار يمكثون فيها زمنًا طويلاً لا نهاية له، أما عصاة المؤمنين فيدخلون على حسب المعاصي التي لا يتوب الله عليهم فيها ثم يخرجون ثانية "([2]).

كما استدل الشيخ على بقاء الجنة ونعيم أهلها ، والنار ودوام عذاب أهلها - لا سيما الكفار - بالحديث النبوي ، ويظهر ذلك من قوله : " والله – سبحانه وتعالى – يحيي ويميت ما دامت الدنيا ، أما يوم القيامة فحياة لا موت ، وقد جاء في الحديث " يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي مناد: يا أهل الجنة ! فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي مناد : يا أهل النار ! فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، فيذبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود

([1]) سورة النبأ الآيتان : ٢١ – ٢٢ .

([2]) درس الجمعة ج ١ ص ٩٧ .

فلا موت"([1]) .

وما ذهب إليه في بقاء الجنة والنار وأبديتهما تؤيده النصوص من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وأقوال الأئمة إخوانه من أهل السنة – رضي الله عنهم – عبر الأزمان ، فلقد أخبر الله – سبحانه – في كتابه العزيز أن أهل الجنة في نعيم دائم غير مقطوع وكذلك أهل النار في عذاب مستمر ، وهذا يدل دلالة واضحة على بقائهما وعدم فنائهما ٠يقول الله – تعالى – في وصف نعيم الجنة : "أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا"([2])، وقال – سبحانه – : "وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ"([3]) ، يعني ليس مقطوعًا .

ويقول الله – تعالى – في عذاب أهل النار وأنهم في عذاب مستمر "وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ"([4]) ، مع قوله – تعالى –: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا"([5]) ، وقوله : "وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ"([6]) ٠

أما الأدلة من السنة على بقاء الجنة والنار فهي كثيرة منها : قوله

([1]) درس الجمعة ج٨ ص ١٠٨ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب قوله :"وأنذرهم يوم الحسرة" ج٦ ص ٩٣ .

([2]) سورة الرعد من الآية : ٣٥ ٠

([3]) سورة هود الآية ١٠٨ ٠

([4]) سورة المائدة من الآية : ٣٧ ٠

([5]) سورة البينة من الآية : ٦ ٠

([6]) سورة البقرة من الآية : ١٦٧ ٠

ﷺ : "من يدخل الجنة ينعم لا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه[1] ، وقوله – عليه الصلاة والسلام – : " إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم[2] .

من هنا استفاضت أقوال أئمة أهل السنة في أبدية الجنة ونعيمها ، وأبدية النار وعذابها للكفار ، يقول "الإمام الباقلاني" بعد الاستدلال على وجود الجنة وخلقها الآن :" والدليل على تخليد النعيم لأهل الجنة والعذاب لأهل النار ، قوله – تعالى – في أهل الجنة "خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ"([3]) ، والآي كثيرة"([4]) ، ثم استدل "الإمام الباقلاني" بحديث ذبح الموت على قنطرة بين الجنة والنار ، وقد سبق ذكر الحديث فلا حاجة لإعادته .

ويقول "الإمام الطحاوي" " والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فإن الله – تعالى – خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً ،

([1]) أخرجه مسلم في صحيحه برواية أبى هريرة باب فى دوام نعيم أهل الجنة ج٢ ص٥٣٤ .

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه برواية ابن عمر ، باب صفة الجنة والنار ج٨ ص١٤٢ وأخرجه مسلم بلفظ "أتى بالموت" ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ج٢ ص٥٣٨ .

([3]) سورة البينة من الآية : ٨ .

([4]) الإنصاف ص ٤٨ .

فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له"(1) .

ويقول الشيخ الدردير" – رضي الله عنه – : "والجنة والنار موجودان الآن ، والجنة هي التي أهبط منها آدم – عليه السلام – خلافًا للمعتزلة الذاهبين إلى أنهما سيوجدان في الآخرة"(2) .

ويقول العلامة "البيجوري" عند قول الإمام "اللقاني" – رحمهما الله تعالى – :" (دارا خلود) أي دارا إقامة مؤبدة ، وردَّ المصنف بذلك على الجهمية ، وهم منسوبون "لجهم" اسم رجل ، يقولون بفنائهما وفناء أهلهما وهم كفار لمخالفتهم للكتاب والسنة"(3) .

وبعد إثبات عقيدة الشيخ الجعفري في خلق الجنة والنار ووجودهما الآن ، وأبديتهما بأنهما لا يفنيان ولا يبيدان ، والاستدلال على ذلك بالأدلة من القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وأقوال الأئمة من أهل السنة والجماعة ، نقول إذا ثبت دوام الجنة ونعيم أهلها بعطاءٍ غير مجذوذ ، فإن فيها نعيمًا أكرم الله – تعالى – به أهلها ، بعد التفضل بدخول الجنة ، وهو النعيم الذي لا نعيم فوقه ، ولا يعطى أهل الجنة شيئًا أحب إليهم منه ، وهو النظر إلى وجه الله – الكريم – في الجنة كما يليق بجلاله وكماله ، وهنا السؤال : ما رأي الشيخ في رؤية المؤمنين لربهم – سبحانه وتعالى – في الآخرة ؟ .

---

(1) شرح الطحاوية ص ٤٢٥ .

(2) شرح سيدي الدردير على خريدته ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(3) تحفة المريد ص ١١٤ .

المبحث الحادي عشر
رؤية الله - عز وجل - وأحكامها في عقيدة الجعفري

يعتقد الشيخ كإخوانه أهل السنة ، أن رؤية الله – تعالى – في الآخرة ممكنة وواقعة ، وأن المؤمنين سيرون ربهم – تعالى – في الآخرة – كما يليق بجلاله وكماله – عيانًا ، رؤية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، ووضوح القمر ليلة أربع عشرة ، دون تعب أو مزاحمة ،أو خفاء ، وأنه من الأمور الجائزة في حقه – تعالى – ، وأقواله في ذلك أكثر من أن تحصى .

وإننا إذ نقول إن اعتقاده في الرؤية هو نفس اعتقاد أهل السنة ، فإن ذلك يحتم علينا أن نذكر بعض أقوالهم ، ثم نذكر قوله عقيبها وها هي أشهر أقوال أئمة أهل السنة في ذلك :

يقول الإمام "الباقلاني" :" اعلم أن أهل السنة والجماعة قد جوزوا الرؤية على الله – تعالى – عقلاً وشرعًا ، بلا خلاف بينهم في الجملة ... فكل الصحابة أجمعوا ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة ، أن الله – تعالى – يُرى في الجنة ، يراه المؤمنون بلا خلاف في ذلك ."(1) .

كما ذهب "الإمام ابن تيمية" – رحمه الله تعالى – في كثير من كتبه إلى أن رؤية الله – تعالى – جائزة في الدنيا واقعة في الآخرة ، وجعل بابًا في العقيدة الواسطية بعنوان : " إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة "، واستدل بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي ، وأقواله في هذه المسألة

---

(1) الإنصاف ص ١٧٠ .

أكثر من أن تحصى([1]) .

ويقول شارح المقاصد :" ذهب أهل الحق إلى أنه – تعالى – مع تنزهه عن الجهة والمقابلة ، يصح أن يُرى ، ويراه المؤمنون في الجنة"([2]).

ويقول الإمام اللقاني في جوهرته :

ومنه أن ينظر بالأبصار لكن بلا كيف ولا انحصار

يقول شارح الجوهرة : "أي ومن الجائز عقلاً عليه – تعالى – أن يُنْظَر ...إلخ ، فالرؤية جائزة عقلاً دنيا وأخرى ؛ لأن الباري – سبحانه وتعالى – موجود وكل موجود يصح أن يُرى ، فالباري – عز وجل – يصح أن يُرى ، لكن لم تقع دنيا لغير نبينا – صلى الله عليه وسلم – ، وواجبة شرعًا في الآخرة ، كما أطبق عليه أهل السنة ، للكتاب والسنة والإجماع"([3]) .

وهناك الكثير من أقوال أهل السنة في وقوع رؤية المؤمنين لربهم – سبحانه وتعالى – ؛ لأنها محل إجماع عندهم لدلالة الأدلة من الكتاب والسنة ، ولقد تحدث الشيخ الجعفري – رحمه الله – عن حكم رؤية الله – تعالى – منامًا ، وعن حكمها يقظة في الدنيا ، وعن حكم وقوعها في الآخرة ، وكل ذلك وفق ما هو مقرر على أصول أهل السنة والجماعة ، ويظهر ذلك

([1]) راجع مثلاً : العقيدة الواسطية ص ٤١ ، وشرح العقيدة الأصفهانية ص ١٠٥ ، و درء تعارض العقل والنقل ج ٥ ص ١٣٢ ، ومجموع الفتاوى ج ٣ ص ٣٩٠ ، والفتوى الحموية الكبرى ص ١١٣.

([2]) شرح المقاصد للتفتازاني ج٣ ص ١٣٣ ، تح د / عبد الرحمن عميرة ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .

([3]) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٧١ .

في التالي :

رؤية الله – تعالى - مناماً في عقيدة الشيخ :

إذا أنعمنا النظر في هذه المسألة نجد أنه ذهب إلى ما ذهب إليه الأئمة من أهل السنة من أن رؤية الله – تعالى – منامًا ممكنة ، واستشهد على ذلك بما روي "عن عبد الله ابن الإمام أحمد – رضي الله عنهما – أنه قال : سمعت أبي يقول : رأيت رب العزة في النوم تسعًا وتسعين مرة ، فقلت في نفسي : لئن رأيته تمام المائة لأسألنه ، فلما رأيته سألته :ما أفضل ما يتقرب به إليك المتقربون ؟ قال : بكلامي يا أحمد ،قلت : بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم .

ثم قال الشيخ : وهذه الرواية موجودة في كتاب إجازات القراء ، وذكر رؤيا قريبة منها للإمام أبي حنيفة – رضي الله عنه – ثم قال عقيبها أيضًا : وقد رأيت – في الرؤيا– وأنا في السودان أني ساجد ، والكون كله أنوار والناس جميعًا يقولون – وأنا معهم – : مولاي .. مولاي ، فهذه الرؤيا تشبه الرؤيا التي رآها الإمام أبو حنيفة – رضي الله عنه –(1) .

فهذه العقيدة له في جواز رؤية الله– تعالى – منامًا ممكنة على مذهب أهل السنة ، وقد صرح بذلك الكثير منهم ، فقد " قالت طائفة من السلف: لا يمنع نص من رؤيته في النوم؛ لأن الرؤية في النوم إنما هي بالأرواح لا بالأشباح فليست راجعة للبصر، والنفي إنما جاء معلقاً بالأبصار

---

(1) درس الجمعة ج ٢ ص ٤٠ – ٤١ .

بقوله: "لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"([1]) ، وعلى هذا فالرؤيا غير الرؤية، فيمكن أن يرى من الرؤيا لا من الرؤية في الدنيا"([2])
.

قال العلامة البيجوري – رحمه الله – :"والمرئي إن كان بوجه لا يستحيل عليه – تعالى –فهو هو – تعالى –،وإلا بأن كان بصورة رجل مثلاً فليس هو هو – تعالى – بل خلق من خلقه – تعالى – ، ويقال حينئذ : إنه رأى ربَّه في الجملة لحكمة تظهر عند المعبرين بأن يقولوا : تدل على كذا وكذا ، وقيل هو هو أيضًا وكونه بهذا الوجه إنما هو باعتبار ذهن الرائي،أما في الحقيقة فليس – تعالى – كذلك([3]) .

وعليه فلا مانع من القول بإمكان رؤية الله – تعالى – منامًا لاعتبارات منها : أولاً : أنه لم يرد نص يمنعها ، والأمر إذا لم يقم دليل على منعه فهو في حيِّز الإمكان ، ثانيًا : أنها إذا كانت منامًا فهي بالروح لا بالبدن ، أي أنها بعيدة عن الرؤية بالبصر في الدنيا الذي يشعر بالجسمية .

ثالثًا : أنه قول الجمهور من أهل السنة مع اعتقادهم أن الله – تعالى – "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" . وقول الجعفري في الرؤيا منامًا لا يخرج عن كل ذلك ، وكذلك قوله في رؤية الله تعالى – في الدنيا يقظة – أعني في الموافقة لأهل السنة –ويتضح ذلك من التالي:

([1]) سورة الأنعام الآية :١٠٣ .

([2]) سلسلة الأسماء والصفات ج ٥ ص ١٧ . لمحمد الحسن الددو الشنقيطي .

([3]) تحفة المريد ص ٧٤ .

رؤية الله – تعالى – في الدنيا في عقيدة الجعفري :

يرى الشيخ كجمهور أهل السنة أن رؤية الله – تعالى – في الدنيا ممكنة ، لكنها لم تقع لأحد إلا لنبينا سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – ليلة المعراج ، فهي ممكنة؛ لأن الله – تعالى – موجود ،وكل موجود يصح أن يُرى ،إلى جانب ذلك أن سيدنا موسى – عليه وعلى نبينا السلام – طلبها في الدنيا ، وقال : "رب أرني أنظر إليك" ، فلو كانت ممتنعة لما طلبها رسول أعلم الناس في وقته بما يجوز وما لا يجوز على ربه – سبحانه وتعالى – .

يقول الشيخ :"ورؤية اليقظة مستحيلة في الدنيا، إلا للمصطفى – صلى الله عليه وآله وسلم– قال في الشيبانية–وهي المنظومة الأزهرية–

ومن قال في دار الحياة رأيته فذلك زنديق طغى وتمردا .

ثم قال عقيب البيت: أما الرؤية في الدنيا يقظة فلم يتشرف بها إلا المصطفى – صلى الله عليه وآله وسلم ،قال "اللقاني": هذا وللمختار دنيا ثبتت[١].

ولعل هذا هو السبب في تشطيره لقصيدة ابن الفارض : "زدني بفرط الحب فيك تحيرا" حيث قال فيها ابن الفارض :

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

وهو لا يقصد رؤية الله – تعالى – في الدنيا يقظة ، فقال بعض من لم يفهم أقوال الأولياء ومراميها إن ابن الفارض سأل ربه رؤيته في الدنيا، وقالوا فيه قولاً منكرًا .

---

[١] درس الجمعة ج ٢ ص ٤٠ .

فشطر الشيخ قصيدته بما يدفع هذا الفهم السقيم عن ابن الفارض كعادته في حمل كلام العلماء على محامل حسنة ، وبما يبين عقيدته في رؤية الله – تعالى – في الدنيا وأنها لا تقع للبشر إلا في الآخرة وقال :

وإذا سألتك أن أراك حقيقة   في جنة الفردوس في دار القرى

أو قلت أشهدني النبي كرامة   فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى([1])

أما عن رؤية الله – تعالى – يوم القيامة فقد جاءت أقواله في وقوعها كما يليق بجلال ربنا – سبحانه – وكماله في غير موضع ، منها ما ذكره في كتابه النفيس " فتح وفيض وفضل من الله في شرح كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله " عن الشيخ "محمد عليش" شيخ السادة المالكية :

" ومن الجائز في حقه – تعالى – رؤيته – تعالى – بالأبصار بلا كيف ولا انحصار ، قال الله – تعالى – "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"([2]) . ويقول بعد ذكر حكم الرؤية منامًا ويقظة في الدنيا : " أما في الجنة فالرؤية حاصلة للمؤمنين قال اللقاني :

ومنه أن ينظر بالأبصار   لكن بلا كيف ولا انحصار

أي في الجنة([3]) . فالرؤية في الآخرة لله –عز وجل – تقع بلا إحاطة ولا كيفية كما فهم من أقواله السابقة .

أدلة وقوع الرؤية في الآخرة :

استدل الشيخ على أن المؤمنين يرون ربهم – عز وجل – في الجنة

([1]) ديوان الجعفري ج ٢ص ٢٧٢ .

([2]) فتح وفيض ص ٥٨ ، والآيتان من سورة القيامة رقم : ٢٢ – ٢٣ .

([3]) درس الجمعة ج ٢ ص ٤٠ .

رؤية منزهة عن الجهة والتحيز، بما استدل بها أهل السنة والجماعة من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – ، وإليكم البيان :

أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :

أخذ الشيخ أدلة من القرآن الكريم على أن المؤمنين يرون ربهم – سبحانه وتعالى – في الجنة كما يليق بجلاله منها قوله – تعالى – : "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ*إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ"([1]) .

يقول عند تفسيره لسورة "القدر" :" فأخبار القرآن صدق ، ووعوده صدق ، من شك في ذلك كفر ...، وأفضل شيء وعدنا القرآن به هي رؤية الحق "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ*إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ" ؛ لأن رؤية الله – تعالى – أفضل من كل شيء ، قال العلماء : إذا رأى أهل الجنة ربهم نسوا نعيم الجنة ، الحمد لله وعدنا برؤيته وهي لا يمكن أن يدفع لها ثمن"([2]) .

ويقول وهو يتحدث عن ثمرة المحبة لله –تعالى –:"فإذا أحببته وأحبك ، فلا بد من الرؤية ، لقوله – تعالى – "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ" – منيرة – "إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ" أي في الجنة([3]) .

كما أخذ دليلاً على وقوعها في الآخرة للمؤمنين من قوله – تعالى – في حق الكفار:" كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لمَحْجُوبُونَ"([4]) ، فقال "... فهو–

([1]) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ – ٢٣ .

([2]) درس الجمعة ج ٦ ص ٤٧ .

([3]) درس الجمعة ج ٣ ص ١٢٥ .

([4]) سورة المطففين الآية : ١٥ .

سبحانه – يتودد إليك ويقول لك : إنك ستراني في الجنة وأنا صاحب النعيم الذي معك في الدنيا ، فاذكر نعيمي حتى تراني ، فهناك ناس يرونني وأراهم في الجنة ، وناس لا يرونني ، كما قال – سبحانه وتعالى – " كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لمَحْجُوبُونَ"([1]) .

وهذا دليل سائغ عند أهل السنة في الاستدلال على أن المؤمنين الذين أحبوا ربهم وأحبهم ، يرونه – سبحانه – تكرمًا عليهم كما يليق بجلاله وكماله ، وأن الكافرين الذين أبغضهم الله – تعالى – لكفرهم ، يحرمون من هذا النعيم الكبير ، والخير العظيم ، يقول "الإمام الشافعي" – رضي الله عنه – لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا([2]) .

فهذه أدلة من القرآن الكريم ومثلها كثير عند الشيخ على وقوع رؤية المؤمنين لربهم – عز وجل – في الآخرة بلا إحاطة ولا كيفية ، توافق أدلة أهل السنة ومذهبهم الوسطي السالم من الإفراط والتفريط ، أما عن أدلته من السنة النبوية فهي كما يلي :

ثانياً : الأدلة من السنة .

كما استدل الشيخ على وقوع الرؤية في الآخرة من القرآن الكريم ، فإنه استدل على إثباتها أيضًا بأدلة من السنة النبوية ، ويظهر استدلاله من

([1]) درس الجمعة ج ٣ ص ١٢٦ .

([2])راجع حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٢٩٢ لابن القيم ، وشرح الطحاوية ص ١٥٦ ، وشرح البيجوري ص ٢١٣ .

قوله عن رؤية الله – تعالى – في الجنة :" قال – عليه الصلاة والسلام – :"إنكم سترون ربكم " يعني في الجنة "كما ترون هذا القمر لا تضامون" أي لا تزاحمون "في رؤيته"([1]) ، فتتمتعون بالرؤية في غير مزاحمة"([2]) .

وربما التبس الأمر على البعض ففهم من الحديث أنه تشبيه لله – عز وجل بالقمر – تعالى الله عن ذلك كلوًا كبيرًا – لكن الشيخ قد أزال هذا الإلباس وأظهر أنه تشبيه رؤية برؤية ، لا تشبيه مرئي بمرئي فقال – وهو إمام الحديث – في شرح الحديث وتوضيحه :" أي : ترون ربكم في الجنة بلا كيفية ، والتشبيه ليس للمرئي ، ولكن التشبيه في عدم المزاحمة "لا تضامون" أنتم في الدنيا عندما ترون القمر ليلة اكتماله بدرًا ، هل ترونه بازدحام أم كل واحد يراه وهو في بيته ؟ ، نعم نراه بسهولة ، كل منا يراه وهو في بيته ، فكذلك أمر الرؤية في الجنة ، إذا تجلى الله – عز وجل – لعباده رآه كل واحد منكم وهو في غاية الراحة ، من غير تدافع ولا ازدحام ؟ ؛ لأن الله – عز وجل – ليس شخصًا محدودًا يزدحم عليه الناس بعضهم يراه ، وبعضهم لا يراه ، وإنما هو – سبحانه – ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فمعنى "لا تضامون في رؤيته" أي لا تزاحمون في رؤيته ، بل ترونه في سهولة تامة"([3]) .

من هنا تميز منهج الشيخ صالح الجعفري الأشعري السني الأزهري

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد ،باب قول الله – عز وجل – :"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" ج٩ ص ١٢٧ .

([2]) درس الجمعة ج١ ص ٤٠ .

([3]) درس الجمعة ج ٣ ص ١٢٥ – ١٢٦ .

بموافقته لمذهب أهل السنة في الوسطية والاعتدال في مسألة الرؤية وحكم وقوعها في الدنيا والآخرة ، فسلم منهجه – رحمه الله – من الغلو والادعاء بوقوعها في الدنيا يقظة على نحو ما يظهر من أهل الغلو والتطرف من أولياء الشيطان وحزبه الذين استحوذ عليهم فأنساهم أن الله – تعالى – ليس كالمخلوقات والمحدثات بحيث يرى في الدنيا بالأبصار يقظة ؛ لأن الله – تعالى – لم يهيئ أبصارنا لرؤيته في الدنيا ، ولهذا قال لكليمه موسى – عليه وعلى نبينا السلام – "لن تراني" أي في هذه الدار ، أما في الآخرة فإن الله – تعالى – يقوي الأبصار ويصلحها بقدرته بحيث تطيق ذلك، فنحن لا نرى الله – تعالى – في دار الدنيا لامتناعها ؛ بل لأن أبصارنا تعجز عن أن تطيقها .

كما سلم منهجه من التأويل الفاسد لها كما عُرف من مذهب المعتزلة الذين ينكرونها في الدنيا والآخرة ، ويتأولونها بصرف ألفاظها عن المعاني التي وضعت لها في لغة العرب الذين أُنزل القرآن الكريم بلغتهم دون قرينة تقتضي التأويل والصرف .

كذلك سلم منهجه من مما وقع لأصحاب النحل والمذاهب المنحرفة الذين يجعلونها في رؤية أئمتهم وزعماء نحلهم ؛ لذلك فإن جميع هؤلاء المنكرين والمؤولين يحرمونها في الآخرة جزاءً وفاقًا ، نسأل الله – تعالى – أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين ورحمته للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،،،،،،،

فهذه عقيدة الشيخ صالح الجعفري في أظهر قضايا السمعيات ، لا كلها ، وقد ظهر من البحث فيها أن الشيخ وهو أحد رجال أهل السنة ، لم تخرج عقيدته في صغير ولا كبير عنهم – قد أثبت الحياة البرزخية وفق ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة ، من أن في القبر عذابًا ونعيمًا وسؤالاً للروح والبدن ، قُبر الإنسان أو لم يُقْبر ، كما أثبت بذات المعيار السابق البعث والقيامة ، وما يسبقهما من أشراط وعلامات ، وما يعقبهما من شفاعة ، وحساب ، وأخذ للصحائف ، وورود للحوض ، ووزن للأعمال ، ومرور على الصراط ، ثم الذهاب إما إلى الجنة أو النار ، وأنهما مخلوقتان موجودتان الآن ، لا تفنيان ولا تبيدان ، وأن من جملة نعيم أهل الجنة رؤيتهم لربهم – سبحانه وتعالى – بلا إحاطة ولا كيفية ؛ لأن الله – تعالى – منزه عن الجسمية ولوازمها من التحيز والحلول في الجهات وغير ذلك ، وكل ذلك لا يخرج عن عقيدة أهل السنة قيد أنملة .

إلى جانب ذلك فإن من طالع تراث الشيخ نثرًا وشعرًا ، أدرك بوضوح أن الشيخ يؤمن بجميع ما آمن به أهل السنة من الأمور الغيبية الأخرى ، كاللوح المحفوظ ، والقلم ، والعرش ، والكرسيّ ، والحفظة والكتبة ، وبنحوه في مباحث الأسماء والأحكام ، من أن الإيمان هو التصديق القلبي مع

الإذعان والقبول لحكم المخبر ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وأن أصحاب الكبائر في مشيئة الله – تعالى – ولا يخلدون في النار ، بل يخرجون بعد تعذيبهم بقدر معاصيهم بالشفاعة ، وأن حبَّ الصحابة – رضي الله عنهم – واجب شرعًا ، فيحرم سبهم ، أو انتقاص قدرهم ، كما يجب الإمساك عما جرى بينهم ؛ لأنهم بشر مجتهدون ، وجميعهم فضلاء ، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، فهذه العقائد السنية قررها الشيخ في تراثه ولم يهملها ، أو يغفلها ، والسبب في ذلك أن الشيخ سنيٌّ في عقيدته ، أزهري في تعلمه وتعليمه ، وكفى بهما وسطية واقتصادًا ، فالشيء من معدنه لا يستغرب ، فهو القائل كما سبق :

ومالك إمامنا في المذهب   وعقدنا كالأشعري الطيب[1]

وهذه العقيدة السُنية التي عليها الشيخ هي جزء من العلم الشريف الذي قصده في نظمه عندما قال :

وعليك بالعلم الشريف فإنه   نور الطريق بغيره لن تعبرا([2]) .

وبذا يكون الشيخ الجعفري – رحمه الله – قد أرشد أبناءه ومحبيه للعلم الشريف في العقيدة ، إلى جانب الشريعة والتصوف والتربية – كما يظهر من تراثه ، والتعريف به في المقدمة – وهؤلاء الشيوخ هم الذين يسعد المرء بصحبتهم في الدنيا والآخرة ؛ لاتباعهم لكتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ونهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم

([1]) ديوان الجعفري ج ١٢ ص ٥٩ .

([2]) ديوان الجعفري ج ٢ ص ٢٠٩ .

أجمعين – ، ويحضرني هنا قول الشيخ الجعفري :

ومن جالس الأخيار يحظى بخيرهم   ومن جالس الأشرار خاب من الدس

ومن كان عند الشمس شع شعاعها   عليه فلا تنس الأشعة للشمس[1] .

رحم الله شيخنا الجعفري ورضي عنه ، وجزاه عن العلم وأهله أحسن الجزاء ، آمين .

---

[1] ديوان الجعفري ج ١ ص ١١٥ .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله .
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي تحقيق د/ طه عبد الرؤف سعد .
- الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية المشتمل على العقائد النسفية للعلامة التفتازاني ، نشر مكتبة إسلامية .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي ، نشر دار الفكر بيروت .
- الروح لابن القيم ط / المتنبي بالقاهرة .
- أسباب النزول للواحدي . تح عصام بن عبد المحسن الحميدان ، نشر دار الإصلاح بالدمام ، الطبعة الثانية ١٩٩٢ م .
- السنن الصغرى للنسائي ، تح د/ عبد الفتاح أبو غدة ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، طبعة ثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- الطريقة الجعفرية شيخًا ومنهجًا ، نشر دار جوامع الكلم بالدراسة .
- العجب العجاب فيما ورد من أحوال الموتى بعد دفنهم تحت التراب للشيخ صالح الجعفري ، نشر دار جوامع الكلم .
-الكنز الثري في مناقب الجعفري للشيخ عبد الغني الجعفري ، نشر دار جوامع الكلم .
- الإلهام النافع لكل قاصد للشيخ صالح الجعفري ، نشر دار جوامع الكلم .
- المعجم الأوسط للطبراني ، تح / طارق بن عوض الله نشر دار الحرمين.
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به تح / محمد زاهد الكوثري

، نشر المكتبة الأزهرية للتراث .
- بحر الكلام في علم التوحيد لأبي المعين النسفي .
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث لأبي أسامة تح / حسين أحمد الباكري ، نشر مركز خدمة السنة بالمدينة المنورة ط/ أولى ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢
- تاج العروس للزبيدي ، نشر دار الهداية .
- تحفة المريد على جوهرة التوحيد ط/ مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأخيرة ١٩٣٩ م .
- تفسير البغوي تح/ عبد الرازق المهدي ، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ .
-حاشية الدسوقي على أم البراهين ط/ مصر ١٨٧٣ م .
- حاشية السباعي على الخريدة ط/ العامرة بالمليجية الطبعة الأولى ١٣٣١
- حاشية السندي على ابن ماجه ط/ دار الجيل - بيروت .
- حاشية شرح الطوالع للسيد الشريف ط/ الخيرية بمصر ١٤٠٦ هـ.
- خير القلائد شرح جواهر العقائد لعثمان العرياني ط/ محمد أسعد .
- دراسات في العقيدة حول السمعيات د/ محمد عبد الصبور هلال ط/ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- درس الجمعة بالأزهر الشريف للشيخ صالح الجعفري نشر دار جوامع الكلم
- ديوان الجعفري للشيخ صالح الجعفري نشر دار جوامع الكلم .
- سنن الترمذي تح / أحمد شاكر وآخرون ط/ مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ١٩٦٥ م .

- شرح البيجوري على الجوهرة للشيخ إبراهيم البيجوري ط/ المعاهد الأزهرية .

- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للحافظ السيوطي تح / عبد المجيد طعمة حلبي نشر دار المعرفة لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م

- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز تح / أحمد شاكر ط/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية طبعة أولى ١٤١٨ هـ .

- شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني تح / د/ عبد الرحمن عميرة ط/ عالم الكتب ، ط / دار الكتب العلمية بيروت – لبنان طبعة أولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.

- صحيح البخاري ، نشر دار طوق النجاة طبعة أولى ١٤٢٢ هـ .

- صحيح مسلم تح / محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار إحياء التراث العربي .

- فتح وفيض وفضل من الله تعالى في شرح كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله للشيخ صالح الجعفري ، نشر دار جوامع الكلم .

- لسان العرب لابن منظور نشر دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ

- مجموع الفتاوى لابن تيمية تح / محمد خليل هراس ط/ دار الكتب العلمية.

- مسلم بشرح النووي نشر دار إحياء التراث العربي –بيروت طبعة ثانية ١٣٩٢ هـ .

- مسند الإمام أحمد تح/ شعيب الأرنؤوط وآخرون ط/ مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ .

- مصنف عبد الرزاق ، نشر دار التأصيل ١٤٣٢٦ هـ ٢٠١٥ م .